حزنٌ مُرتجَل

شعر عبدالرّحمن يوسُف

الفَرَحُ في مِصرَ انتِظارُ سَفينَةٍ تأتي بمَوعِدِها
ولا تَرسُو ...
فَيلمَحُها الحَزانَى مِن بَعيدٍ
ثُمَّ تُبحِرُ كالخَيالِ عَلَى عَجَلْ ...
والحُزنُ إيقاعُ الحَياةِ
وَتيرَةٌ مِصريَّةٌ مَحفُوظَةٌ
يَبدُو كأوزانِ القَصيدِ
وفَرحَةُ المِصريِّ كَسرٌ أو عِلَلْ ... !
للحُزنِ مَجرًى مِثلُ مَجرَى النِّيلِ في أعمَاقِنا
والفَرحُ كالشَّلالِ يُوصِلُ للأجَلْ ...
في مِصرَ يَبدو الفَرحُ شَيئًا مُنحَفِيًا نَادِرًا
لا يَنبَغي تَبديدَهُ أو لَمسَهُ
مَهمَا تَداوَلَهُ سِوانَا مِثلَ أشعَارِ الغَزَلْ ...
تَمتَدُّ كَفُّ الحُزنِ نَحوَ رِقَابِنا
وتَضيقُ عَبرَ العُمرِ قَبضَتُهُ فَتَخنُقُنا
ونَحنُ إذا مَدَدنَا كَفَّنَا للفَرحِ يَهرُبُ مِن أصَابِعِنَا
سَريعًا في وَجَلْ ...
الحُزنُ في مِصرَ الحَقِيقَةُ والطَّرِيقَةُ والسَّلِيقَةُ
دُونَ أيِّ تَكَلُّفٍ
والفَرحُ يَبدو كالخَلَلْ ...
الفَرحُ في مِصرَ اصطِناعُ قَصيدةٍ
مَجهُولَةِ المَوضُوعِ والإيقَاعِ
شَاعِرُها كَذُوبٌ مُدَّعٍ
والحُزنُ شِعرٌ بالمَدَامِعِ مُرتَجَلْ ... !

تصميم الغلاف تامر يوسف

دار الشاعر للنشر والتوزيع

دار العلوم للنشر والتوزيع

حزنٌ مُرتجَل
شعر عبدالرّحمن يوسُف

دار الشاعر * دار العلوم للنشر والتوزيع

حزنٌ مُرتجَل

شعر

عبدالرّحمن يوسُف

الطبعة الثانية

حزنٌ مرتجل

اسم الديوان : حُزْنٌ مُرْتَجَلٌ...
أشعار : عبد الرحمن يوسف
الطبعة : الثانية 1433هـ - 2012م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس أي جزء منه بدون إذن كتابي من الناشر.

الناشر : دار الشاعر للنشر والتوزيع
18 ب شارع 26 يوليو - وسط البلد - القاهرة
ت : 0127919792 (2+)
الموقع على الإنترنت : www.arahman.net
البريد الإلكتروني : arahman@arahman.net
info@arahman.net
توزيع : دار العلوم للنشر والتوزيع
277 عمارات امتداد رمسيس - طريق النصر - مدينة نصر
هاتف وفاكس : 22629499 - 22629606 (202+)
البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com
رقم الإيداع : 2008/22286
التجهيزات : 4F تليفون / فاكس 35424630 (202+)

حزنٌ مرتجل

شعر

عبد الرحمن يوسف

دار الشاعر للنشر والتوزيع

دار العلوم للنشر والتوزيع

فهرس

القصيدة	الصفحة
تَفَـــاؤُلْ ...	7
الظُّلْمُ ... ظُلْمْ ... !	13
حُزْنٌ مُرْتَجَلْ ...	17
لا تَحْقِدْ ... !	33
الرَّاحِلُونَ بلا قُبُورْ ... !	37
حِدَادٌ بدونِ عَزاءْ ... !	51
بَعْدَ الحِدَادْ ... !	63
اعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتْ !	71
اللَّيلُ ظَلامْ ...	85
بَيْنَ قَصيدَتَيْنْ ... !	93
متى موعِدُ المَوتْ ... !	99
مِصْـرُ القَصِيدَةْ ... !	107

القصيدة	الصفحة
أتَكَثَّفُ قَطْرَةْ ...	123
الاستِلامُ في المَشْرَحَةْ ... !	131
يَقُولُ العَدُوُّ ... !	137
على بُعْدِ خُلْدٍ ونِصْفْ ...	145
جِنَازَةٌ مُنْضَبِطَةْ ... !	151
مَوْتٌ أكيدْ ... !	161
عَاطِـلْ ... !	171
دَرَجَاتُ زُرْقَةْ !	187
كَثيرٌ عَلَيْكُمْ ... !	191
ولقَدْ أرَاني ...	205
قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ	215
في هِجَاءِ الصَّبْرْ... !	235
لسْتُ مُمْتَنًّا ...	241

تَـفـَـــــاؤُلْ ...

سَيُدْرِكُ مَنْ يَقْرَؤونَ القَصيدَةَ مَاذا بقلبي يَجُولْ ...

حُرُوفٌ أصَابعُهَا تَتَشَابَكُ فـي رَقْصَةٍ مِنْ مَعَانٍ

وأقْلامُ مَنْ يَكْتُبُونَ بَدَتْ كَالمَزَاميرِ

والحَرْفُ جَارُ أخيهِ تَرَاقَصُ مِثلَ الخُيُولْ ...

هُو الحَرْفُ ...

مِرْآةُ حُسْنٍ وقُبْحٍ لِمَنْ يَكْتُبُونَ بِزُورٍ وحَقٍّ

فَحَرْفٌ كَفُورٌ

وحَرْفٌ رَسُولْ !

وحَرْفٌ أبَا بَكْرٍ يَبْدو

وحَرْفٌ يُنَافِقُ كَابْنِ سَلُولْ ...

وحَرْفٌ تَحَصَّنَ بالصَّمْتِ حينَ الكَلامِ

وحَرْفٌ يَقُولْ ...

وحَرْفٌ عَزيزٌ

وحَرْفٌ ذَلولْ ...

وحَرْفٌ عَلَى النَّاسِ يُغْدِقُ حَقًّا

وحَرْفٌ تَسَوَّلَ عِنْدَ القُصُورِ بقَرْعِ الطُّبُولْ ...

هُوَ الحَرْفُ طُهْرٌ ...

وعُهْرٌ ...

فمِنْهُ أذانُ الشُّرُوقِ

ومنْهُ يَكُونُ الأفُولْ ... !

* * *

يَلومُ عَليَّ الذينَ يَخَافُونَ حَرْفِي بأنِّي أُجَاهِرُ بالشَّمْسِ

عَبْرَ ظَلامِ المَدينَةِ

والليلُ فَرْضٌ يُؤَدَّى بكُلِّ المَوَاقيتِ

قُلْتُ لَهُمْ : « إنَّ شِعْري يُؤَدِّي فُرُوضَ الإضَاءَةِ » !

قَالوا : « عَليكَ احْتِرَامَ الظَّلامِ الذي لَفَّنَا » !

قُلْتُ : « إنِّي أُرَوِّضُ عَيْنَ المَدينَةِ عَبْرَ المَجَازِ لِكَيْ لا تَمُوتَ مِنَ

الضَّوْءِ إنْ ذَاتَ يَوْمٍ أتَاهَا الشُّرُوقُ ... »

فَقَالوا : « لأنَّكَ لَمْ تَحْتَرِمْ لَيْلَنَا سَوْفَ تُسْجَنُ - دُونَ مَجَازٍ -

فَقَايضْ شُمُوسَكَ بالليلِ كَيْ لا تَضيعْ ... »

فَقُلْتُ : « أنَا إنْ أقَايضْ بيَوْمٍ ...

فَسَوفَ تَرَى كُلَّ قَوْمي يَبيعْ » ... !

أنَا مَنْ يُوَجِّهُ سَيْلَ التَّفَاؤُلِ شِعْرًا لمَجْرَى العَمَلْ ...

أنَا مَنْ يُصَوِّبُ حِقْدَ الجُمُوعِ لتَكْسِرَ دِرْعًا تَحَصَّنَ مِنْ خَلفِهَا مَنْ

قَتَلْ ... !

أنَا مَنْ يُحَرِّكُ جَيْشَ الشَّجَاعَةِ ضِدَّ جُيُوشِ الوَجَلْ ...

أنَا مَنْ يُبَدِّلُ طَبْعَ الأُسُودِ لشَعْبي بِطَبْعِ الحَمَلْ ...

أنَا مَذهَبُ الزُّهْدِ حينَ انْتِصَارِ الطَمَعْ ...

أنَا بَلسَمُ الأرْضِ حينَ انْفِجَارِ الوَجَعْ ...

أنَا العَقْلُ إنْ مَا اقتَنَعْ ...

أنَا هَدْأةُ الرُّوحِ عنْدَ الفَزَعْ ...

أنَا سَكَنُ القَلبِ عنْدَ الجَزَعْ ...

يُسَائِلُني الجَمْعُ : « هَلْ تَسْتَطيعُ تُضَمِّدُ هَذا الصَّبَاحَ الذي أثْخَنَتْهُ

رِمَاحُ الليالي ؟ »

فَقُلْتُ لَهُمْ : « أسْتَطيعْ ... ! »

لأنِّي كَرَاعٍ إذا تَاهَ ... ضَلَّ القَطيعْ ...

أنَا مِنْجَنيقُ الحَقِيقَةِ

يَقْصِفُ كِذْبًا تَحَصَّنَ خَلْفَ جِدَارٍ مَنيعْ ...

سَأدَّخِرُ الدِّفْءَ في القَلبِ حينَ الصَّقيعْ ...

أنَا مَنْ يُلَوِّنُ صَفْحَةَ تِلْكَ الحَيَاةِ فُصُولاً

وسَوْفَ أظَلُّ أُفَتِّحُ وَرْدي

لأنِّي إذا مَا ذَبُلْتُ يَمُوتُ الرَّبيعْ ...

سَأبْقَى عَلَى أمَلِ الشَّمسِ حَيًّا بأمْرِ البَصِيرِ السَّميعْ ...

لأنِّي إذا مَا يَئِسْتُ كَطَيرٍ هَوَى

فَسَيَيْأسُ بَعْدي الجَميعْ ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة
2.00

2007/12/1م
صباحًا

الظُّـلْمُ ... ظُـلْمْ ... !

مَدِينَتُنَا تَسْتَسيغُ الحَياةَ بشَيءٍ مِنَ الجُوعِ

فَهْيَ تُصَرِّفُ حَالَ البُطُونِ بأكْلٍ قَليلٍ مِنَ الجَائعينَ

لتَحْظَى بجُوعٍ أقَلّْ ... !

مَدِينَتُنَا تَقْتَفي السَّلَفَ الفَاسِدينَ

فَتَخْلِطُ بَيْنَ التَّحَرُّشِ بالمُحْصَنَاتِ

وبَيْن فُنُونِ الغَزَلْ ... !

مَدِينَتُنَا قَدْ قَضَتْ عُمْرَهَا في المَتَاهَةِ

ما بَيْنَ مَجْدِ صُرُوحٍ بَنَتْهَا الجُدُودُ ،

وبَيْنَ بُيُوتٍ مِنَ القَشِّ لَيْسَتْ تَقي

السَّاكِنينَ بفَصْلِ الشِّتَاءِ البَلَلْ ... !

مَدِينَتُنَا بُؤْرَةُ المُعْجزَاتِ ...

تَرَاهَا مَعَ الفَجْرِ تَسْعَى لجَمْعِ الفُتَاتِ مِنَ الأرْضِ

وهْيَ تُعَاني الشَّلَلْ ... !

مَدِينَتُنَا آيَةٌ فـي البَلاغَةِ ...

رَغْمَ تَخَلُّفِهَا عَنْ دُخُولِ المَدَارسِ

تُتْقِنُ رَصَّ الرِّضَا فـي جُمَلْ ... !

مَدِينَتُنَا طَوَّرَتْ ذَاتَهَا حِينَ ثَارَتْ عَلَى الظُّلْمِ

رَغْمَ تُرَاثٍ يَحُضُّ عَلَى الصَّبْرِ مُنْذُ قَديمِ الأزَلْ ... !

مَدِينَتُنَا شَاهَدَتْ نَفْسَهَا فَوْقَ صَفْحَةِ نَهْرِ الحَيَاةِ

كَوَجْهٍ أصِيلِ الجَمَالِ يُغَطِّيهِ قُبْحٌ دَخِيلٌ

فَبَاتَتْ تَلُوكُ تَسَاؤُلَهَا : « مَا العَمَلْ ؟ » ... !

مَدِينَتُنَا حَيَّرَتْ كُلَّ مَنْ يَكْتُبُونَ

فَثَارَتْ عَلَى مُعْطَيَاتِ البَلاغَةِ

قَامَتْ لتَضْرِبَ بالسَّجْعِ عُرْضَ الكَلامِ

لأنَّ المُسَاواةَ فـي الظُّلْمِ ...

ظُلْمٌ ...

وظُلْمٌ ...

وظُلْمْ ... !!!

تَمَّتْ في القَاهِرَة
2.00

2007/12/31م
صباحًا

حُــزْنٌ مُرْتَجَـلْ ...

الفَرْحُ فـي مِصْرَ انْفِعَالٌ طارئٌ

مَا زَالَ يُرْهِقُنَا تَذَكُّرُهُ

وإنْ يَومًا تَذَكَّرْنَاهُ

أرَّخْنَا لفَرْحَتِنا بمَوقِعِهَا مِنَ الأحْزَانِ

فالطِّفْلُ الصَّغيرُ نَقُولُ فـي ميلادِهِ :

« قَدْ جَاءَ بَعْدَ وَفَاةِ والِدِهِ بشَهْرٍ ...

أو قُبَيْلَ رَحيلِ خَالَتِهِ بشَهْرٍ ...

أو بيَومِ رَحِيلِ عَمَّتِهِ فُلانَةْ ... ! »

الحُزْنُ يَحْكُمُنَا رَئيسًا مُسْتَبِدًّا

لا يَرَى فـي الفَرْحِ غَيْرَ تَمَرُّدٍ وإهَانَةْ ...

والفَرْحُ شَحَّاذٌ بأرْوقَةِ المَدينةِ

يَسْألُ السُّكَّانَ أيَّ إعَانَةْ ...

في مِصْرَ يَعْتَقِدُ الجَمِيعُ بأنَّ وَقْتَ الفَرْحِ مَكْرُوهٌ

كَتَأخيرِ الصَّلاةِ

أو الصَّلاةِ بلا خُشُوعٍ حينَ تَمْتَلئُ المَثَانَةْ ...!

والحُزْنُ أمْرٌ وَاقِعٌ

لا تَسْتَطيعُ تَفِرُّ منْهُ

لذاكَ مَنْصُوحٌ بتَدْريبِ العُيُونِ عَلَى الدُّمُوعِ

ويَنْصَحُ الحُكَمَاءُ مِنْ خُبَرَائنا

وكذلكَ الخُبَرَاءُ مِنْ حُكَمَائنا

تَوفيقَ أوْضَاعِ القُلوبِ

على التَّعَايُشِ في الحيَاةِ مَع المَهَانَةْ ...

وضُيُوفُ مِصْرَ يُحَدِّقونَ بدَهْشَةٍ في لافتَاتٍ عُلِّقَتْ فَوقَ الوجُوهِ

وسُطِّرَتْ بدُمُوعِنا شَفَّافَةً :

« يا أيُّها الضَّيْفُ المُكَرَّمُ ...

فَلْتُبَادِرْ بالدُّمُوعِ فَأنْتَ في أرْضِ الكِنَانةْ ... ! »

* * *

قَدْ يَحْسِبُ الغُرَبَاءُ أنَّ الفَرْحَ والأحْزَانَ

يَقْتَسِمَانِ أحْوالَ الحيَاةِ بمِصْرَ

مِثْلَ الحَالِ في كُلِّ الأمَاكِنِ والعُصُورْ ...

والحَقُّ أنَّ الفَرْحَ والأحْزَانَ يَقْتَسِمَانِ دُنْيَانَا

ولَكِنْ قِسْمَةً ضيزى تُحَوِّلُ حُزْنَنا مَلِكَ الدُّهُورْ ...

الفَرْحُ و الأحْزَانُ في بَلَدي كَأرْنَبَةٍ تُحِيطُ بهَا النُّمُورْ ...

أو بُلْبُلٍ مَا كَادَ في يَوْمٍ يَطِيرُ مُغَرِّدًا

حَتَّى أحَاطَتْهُ الصُّقُورْ ...

فـي مِصْرَ أمْرُ الحُزْنِ يَنْفُذُ فـي الجَميعِ

فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ سُكَّانِ القُبُورِ أو القُصُورْ ...

يَتَسَامَرُ المِصْريُّ مَعْ خِلانِهِ

فَإذا تَعَالى الضِّحْكُ تَلْقَى الجَمْعَ فـي قَلَقٍ

يُنَاجُونَ السَّمَاءَ لدَفْعِ مَا يَتَوَقَّعُونَ مِنَ الشُّرورْ ...

الحُزْنُ قوْسٌ

والمَصَائِبُ سَهْمُهُ

والوَقْتُ كَالوَتَرِ الَّذي يَشْتَاقُ يُطْلِقُ سَهْمَهُ

نَحْوَ الذي قَدْ ظَنَّ أنْ مِنْ حَقِّهِ بَعْضُ السُّرورْ ...

الفَرْحُ لَفْظٌ مُفْرَدٌ فـي مِصْرَ

والأحْزَانُ جَمْعٌ يَسْتَكِينُ لأمْرِهِ سَيْرُ الأُمُورْ ... !

* * *

فـي مِصْرَ دَوْمًا تُعْلَنُ الأحزَانُ

والأفرَاحُ تُخْفَى مِثْلَ سِرّْ ...

الفَرْحُ يَبْدُو مِهْرَجَانًا صَاخِبًا

فَإذا أتَى المِصْريُّ تَصْحَبُهُ جُيُوشُ الحُزْنِ

تَلْقَى الفَرْحَ فَرّْ ... !

الحُزْنُ غُرْفَةُ نَوْمِنَا ...

فيهَا نُقِيمُ بلَيْلِنَا ...

فيهَا نُمَارِسُ حُبَّنَا ...

والفَرْحُ يُوصِلُنَا لغُرْفَةِ حُزْنِنَا مِثْلَ المَمَرّْ ...

الحُزْنُ مُرٌّ قَدْ رَمَانَا الحَظُّ فيهِ

ودَائِمًا فـي مِصْرَ نَنْتَظِرُ الأمَرّْ ...

الحُزْنُ يَسْكُنُ مِنْ قَديمٍ أرْضَ مصْرْ ...

قَدْ مَرَّ في كُلِّ البلادِ كَزَائِرٍ

لكِنَّهُ مَا كَادَ يَدْخُلُ أرْضَنَا حَتَّى اسْتَقَرَّ

قَدْ زَادَتِ الأيَّامُ سَطْوَتَهُ

فَأصْبَحَ حَاكِمًا فَرَضَ المَهَابَةَ في قُلُوبِ السَّاكِنِينَ

فإنْ أتَى فَرْحٌ تَرَاهمْ دَائمًا يَتَوَقَّعُونَ قُدُومَ شَرّْ ... !

* * *

في بَعْضِ أحْيانٍ يَزُورُ الفَرْحُ وَاقِعَنَا ولكِنْ ...

دَائمًا يَأتي عَلَى عَجَلٍ فَلا يَأتي يُقيمُ

ولَيسَ يَقْضِي عُطْلَةَ الأُسْبُوعِ

بَلْ يَأتي يُسَامِرُنَا بِجِلسَةِ شَايِ بَعْدَ العَصْرِ

ثُمَّ يَغِيبُ بَعْضُ العَصْرِ

ثُمَّ تَصِيرُ فَرْحَتُنَا تُذَكِّرُهُ بآخِرِ مَرَّةٍ فيهَا أتَى ... !

الفَرْحُ يَأتينَا ولَكِنْ ...

دَائمًا يَأتي بتَصْرِيحٍ يَلُوحُ مُؤَقَّتا ... !

حَتْمًا يَزُورُ الفَرْحُ وَاقِعَنَا بأحيانٍ ولَكِنْ ...

تَحْرِصُ الأحْزَانُ أنْ تُلْغِي زِيَارَتَهُ

ولَوْ عَجَزَتْ تُؤَجِّلُهَا

ولَوْ عَجَزَتْ تُقَلِّصُهَا

ولَوْ عَجَزَتْ تُنَغِّصُهَا

ولَوْ عَجَزَتْ تَكَفَّلَ قَلْبُنَا المَلْوءُ أحْزَانًا

بِطَرْدِ الفَرْحِ في وَجْهٍ بَدا مُتجَهِّمًا مُتَزَمِّتا ...

الفَرْحُ يَأتينَا بأحيانٍ ولَكِنْ ...

دَائمًا يَأتي كَهَوْدَجِ حَاكِمٍ لا نَسْتَطِيعُ نَرى دَوَاخِلَهُ

فَيَبْدو مُصْمَتا ...

الفَرْحُ يَأتينا ليَمْسَحَ دَمْعَةً تَمْتَدُّ في نَسَبِ البُكَاءِ

إلى جُدُودِ جُدُودِنَا

تَفْنَى مَنَاديلُ السُّرُورِ

ودَمْعُنَا لَمَّا يَزَلْ في دَفْقِهِ مُتَعَنِّتا ...

الفَرْحُ يَأتينا مُفاجَأةً ولَكِنْ ...

صَارَ يَأتي خَائفًا

فالحُزْنُ في بَلَدي الحَبيبِ مُدَبَّبٌ

مَا زالَ يَخْتَرِقُ السُّرُورَ

يَضُخُّ فيهِ مُنَغِّصَاتِ العُمْرِ مِنْ مَوْتٍ

ومِنْ مَرَضٍ

ومِنْ وَجْهِ الرَّئيسِ

ومِنْ هُمُومِ الرِّزْقِ

حَتَّى يَرْتَمي مُتَفَتِّتا ...

الفَرْحُ يَأتي - حينَ يَأتى - خَائفًا ...

يَخْشَى تَجَاوُزَ حَدِّهِ ...

يَخْشَى نِصَالَ الحُزْنِ تُغْرَسُ في ابْتِسَامَتِهِ

فَيُمسي مَيِّتا ... !!!

* * *

يَسْتَخْلِصُ المِصْريُّ فَرْحَتَهُ مِنَ الأحْزَانِ

يَنْفُضُ عَنْ مَفَاتِنِهَا غُبَارَ الحُزْنِ

يَنْظُرُ نَحْوَهَا مُتَوَدِّدا ...

فَتُؤَجَّلُ الأحْزَانُ (إنْ نَجَحَتْ مُحَاوَلَةُ التَّوَدُّدِ للسُّرُورِ)

ويَسْخرُ المِصْريُّ مِنْ إقبَالِ بَهْجَتِهِ إليْهِ

كَأنَّهُ وَلَدٌ يُجَرِّبُ شَكْلَ صَابُونِ الحلاقَةِ فَوْقَ خَدَّيْهِ

- بلحْظَةِ غَفْلَةٍ مِنْ أُمِّهِ -

فإذا رَأتْهُ تَرَاهُ يَبْسِمُ وَجْهُهُ مُتَوَرِّدا ...

يَسْتَأنِسُ المِصْريُّ فَرْحَتَهُ ...

يُبَالِغُ في طُقُوسِ الفَرْحِ

ثُمَّ تَرَاهُ يَنْكُصُ دَائمًا مَعْ حُزْنِهِ مُتَوَحِّدا ...

يَسْتَنْتِجُ المِصْريُّ فَرْحَتَهُ (ولَيْسَ يَعِيشُهَا)

بَلْ يَتْرُكُ الأفْرَاحَ تَعْبُرُهُ

إذا مَا أوْلَوِيَّاتُ الدُّمُوعِ تَكَرَّمَتْ

بِمِسَاحَةٍ زَمَنِيَّةٍ تَكْفِي ليَحْيا المَشْهَدا ...

يَسْتَثْقلُ المِصْريُّ فَرْحَتَهُ كَتَشْبِيهٍ بِهِ وَجْهُ التَّشَابُهِ قَدْ بَدا

مُتَعَقِّدا ...

يَتَعَامَلُ المِصْريُّ مَعْ أفْرَاحِهِ وكَأنَّها لَغَمٌ

يُهَدِّدُ بانْفِجَارٍ يَسْتَعيدُ الحُزْنَ

أقوَى سَطوَةً مُتَسَيِّدا ...

يَتَحَايَلُ المِصْريُّ في أفْرَاحِهِ

فَتَرَاهُ يَسْتُرُهَا

فَعَيْنُ الحُزْنِ تَرْقُبُهُ

إذا مَا أشْهَرَ الأفْرَاحَ في أفْرَاحِهِ مُتَمَرِّدا ...

يَسْتَنْكِرُ المِصْريُّ فَرْحَتَهُ

كَمَا تَسْتَنْكِرُ الأفْرَاحَ أرْمَلَةٌ

قَضَتْ أيَّامَ عِدَّتِهَا

ولَكِنْ قَدْ بَدا طَبْعُ الوَفَاءِ لِبَعْلِهَا مُتَمَدِّدا ... !

* * *

الفَرْحُ في مِصْرَ انْتِظَارُ سَفينَةٍ تَأتي بمَوْعِدِهَا

ولا تَرْسُو ...

فَيَلْمَحُهَا الحَزَانَى مِنْ بَعِيدٍ

ثُمَّ تُبْحرُ كالخَيالِ عَلَى عَجَلْ ...

والحُزْنُ إيقَاعُ الحيَاةِ

وَتيرَةٌ مِصْرِيَّةٌ مَحْفُوظَةٌ

يَبْدُو كَأوْزَانِ القَصيدِ

وفَرْحَةُ المِصْرِيِّ كَسْرٌ أو عِلَلْ ... !

للحُزْنِ مَجْرًى مِثْلُ مَجْرَى النِّيلِ في أعْمَاقنا

والفَرْحُ كَالشَّلالِ يُوصِلُ للأجَلْ ...

في مِصْرَ يَبْدو الفَرْحُ شَيْئًا مُتْحَفِيًّا نَادِرًا

لا يَنْبَغي تَبْديدُهُ أو لَمْسُهُ

مَهْمَا تَدَاوَلَهُ سِوَانَا مِثْلَ أشعَارِ الغَزَلْ ...

تَمْتَدُّ كَفُّ الحُزْنِ نَحْوَ رِقَابنا

وتَضيقُ عَبْرَ العُمْرِ قَبْضَتُهُ فَنَخْنُقُنا

ونَحْنُ إذا مَدَدْنَا كَفَّنَا للفَرْحِ يَهْرُبُ مِنْ أصَابِعِنَا

سَريعًا في وَجَلْ ...

الحُزْنُ في مِصْرَ الحَقيقَةُ والطَّريقَةُ والسَّليقَةُ

دُونَ أيِّ تَكَلُّفٍ

والفَرْحُ يَبْدو كالخَلَلْ ...

الفرْحُ في مِصْرَ اصْطِناعُ قَصيدةٍ

مَجْهُولةِ المَوْضُوعِ والإيقَاعِ

شَاعِرُها كَذُوبٌ مُدَّعٍ

والحُزْنُ شِعْرٌ بالمدَامِعِ مُرْتَجَلْ ... !

بدايَتُهَا في الإسكندرية 2008/2/10م

وانْتَهَت في القَاهِرَة 2008/3/1م

4.00 صباحًا

لا تَحْــقِـــدْ ... !

الحِقْدُ يَخْصِمُ مِنْ ضِيَائِكَ

فَاحْتَرِسْ أنْ تَنْطَفِئْ ... !

الحِقْدُ لا يَسْتَعْمِلُ القَلْبَ الكَبيرَ

وإنَّمَا يَسْتَهْلِكُهْ ... !

والقَلْبُ شَالٌ مِنْ حَريرٍ نَاعِمٍ

بالحِقْدِ حَتْمًا يَهْتَرِئْ ... !

الحِقْدُ قُضْبَانٌ لِرُوحِكْ ...

كَالمِلْحِ يُلْقَى في جُرُوحِكْ ...

الحِقْدُ فَخٌّ لَوْ وَقَعْتَ بِهِ

تَصيرُ فَرَاشَةً سَكَنَتْ بِبَيْتِ العَنْكَبُوتْ ...

الحِقْدُ للأرْوَاحِ مِثْلُ الشَّحْمِ للأجْسَامِ

لَوْ زَادَتْ تُمِيتْ ... !

هَلْ أبْصَرَتْ عَيْنَاكَ رُوحًا تَشْتَكِي السِّمْنَةْ ؟!

الحِقْدُ كَالوَرَمِ الخَبيثِ

وفي خَلايَاكَ المَريضَةِ يَخْتَبِئْ ... !

الحِقْدُ نِقْمَتُهُ عَلَيْكْ ...

تَسْوَدُّ مِنهُ الرُّوحُ

- وهي بِطَبْعِهَا شَفَّافَةٌ -

فاحْذَرْ عَلَيْهَا مِنْ سَوَادِ الحِقْدِ

لا تَهْلِكْ ...

الحِقْدُ كَالجَبَلِ الثَّقِيلِ عَلَى فؤَادِكَ يَتَّكِئْ ... !

خَلَقَ الإلهُ العَقْلَ

كَيْ تَمْتَدَّ كَفُّ العَقْلِ بالتَّشْذيبْ ...

الحِقْدُ في مَنْظُومَةِ الأخْلاقِ مَوْجُودٌ

كَخَرْطوشٍ تَوَارَثهُ البَنُونَ مُعَلَّقًا

بِجِوَارِ صُورَةِ جَدِّهِمْ ...

مَعْ هَجْمَةِ الأعْدَاءِ سَوْفَ تَرَى ذِرَاعًا

للبَنِينَ لذلِكَ الْخَرْطُوشِ حَتْمًا يَلْتَجِئ ... !

القَاهِرَة 2006/12/2م

الرَّاحِـلونَ بلا قبـورْ ... ! (*)

(*) مهداة إلى أرواح ضحايا عبارة « السلام 98 » وذويهم ، وقد كُتِبَتْ في ذكرى رحيلهم الأولى .

طُرُقُ الأدَاءِ لذلكَ الحُزْنِ المُقيمِ

تَنَوَّعَتْ وتَوَحَّدَتْ ... !

والعَائِدُونَ مِنَ التَّغَرُّبِ رَاحِلُونَ إقَامَةً قَسْرِيَّةً عَبْرَ الرَّحيلِ

كَدَمْعَةٍ فَوْقَ الخُدُودِ

تَبَخَّرَتْ وتجَمَّدَتْ ...

مَا بَيْنَ قَعْرِ البَحْرِ أو قَعْرِ السُّجُونِ

وبَيْنَ ظُلْمِ البَحْرِ أو أمْواجِ بَحْرِ الظُّلْمِ

أحْلامٌ كِبَارٌ في الطَّريقِ

تَصَدَّعتْ وتَجَلَّدَتْ ...

والقَبْرُ أمنيةٌ تَعِزُّ عَلَى الذي قَدْ بَاتَ يَشْتَاقُ الفَقِيدَ

ولَيْسَ يَدْري أيَّ مَوْتٍ أو حَيَاةٍ غَيَّبَتْهُ ... !

ولَيْسَ يَعْرِفُ أيَّ آمَالٍ هُنَاكَ

تَشَكَّكَتْ وتَأكَّدَتْ ... !

والمَوْتُ تَحْتَ المَاءِ حِرْمانٌ مِنَ القَبْرِ الذي

يَبْكِي عَلَيْهِ ذَووكَ في الأعيادِ

إثْبَاتًا لحَقِّكَ في وُجُودٍ بَيْنَهُمْ

طَيْفًا يُمَارِسُ عيدَهُ

في نَشْوَةٍ لحَظَاتُهَا خَضعَتْ ولكنْ بالشُّجُونِ تَمَرَّدَتْ ...

والقَبْرُ في مصرَ القَديمةِ والحَديثَةِ لَقْطَةٌ تَأتي

ولكِنْ لَيْسَ تَمْضِي

بَلْ تُثَبَّتُ كَي يَتِمَّ عَلَى المَدَى اسْتِرْجَاعُهَا

فَتُرى بيَوْمٍ في انْكِمَاشٍ

ثُمَّ تُبْصِرُهَا عَليْكَ تَمَدَّدَتْ ...

في مصرَ تُخْتَرَعُ القُبُورُ لكُلِّ مَعْشُوقٍ وَلِيٍّ أو حَبيبٍ أو زَعِيمٍ

فَاخْتَرَعْنَا للحُسَيْنِ ضَريحَهُ

لتَظَلَّ قِصَّتُهُ دُمُوعًا

كُلَّمَا مُسِحَتْ بمِنْديلِ الزَّمَانِ تجَدَّدَتْ ...

في مِصْرَ تُحْتَرَمُ القُبُورُ كَمُعْجِزَاتٍ

لا يُنَافِسُهَا سِوى قَبْرٍ لِمِصْريٍّ يُعَادُ عَلَى المَدَى اسْتِكْشَافُهُ

فَتَرَى ذُرَا الأهْرَامِ أو قَبْرًا لتُوتَ

مَسِيرَةً للشَّعْبِ في أبْهَى جِنَازَاتٍ وأطْوِلِهَا وأعْرَقِهَا

كَمُشْكِلَةٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ تسَهَّلَتْ وتَعَقَّدَتْ ... !

القَبْرُ في مِصْرَ ابتِدَاءٌ للصُّعُودْ ...

رَسْمٌ بَيَانِيٌّ يُؤَشِّرُ للصُّمُودْ ...

كمُجَسَّمٍ لِبِلادِ جَنَّاتِ الخُلُودْ ... !

القَبْرُ في مِصْرَ اخْتِرَاعُ المَيِّتِ الفَاني لِشَكْلٍ

ضِمْنَ أشْكَالِ الوُجُودْ ... !

القَبْرُ في مِصْرَ اخْتِزَالٌ لاحْتِرَامَاتٍ تُؤَدَّى للجُدُودْ ...

القَبْرُ في مِصْرَ احْتِرَامُ المَوْتِ

لكِنْ فيهِ إيقَافٌ لتَنْفِيذِ الفَنَاءِ

لذَاكَ تُبْصِرُهُ كَتَجْفِيفِ الوُرُودْ ...!

القَبْرُ في مِصْرَ القَديمَةِ والحَديثَةِ قَدْ بدا

إنْجَازَ شَعْبٍ لَيْسَ يرْضَى أنْ يُقَيِّدَهُ المَمَاتُ

بأيِّ أشْكَالِ القُيُودْ ... !

* * *

ودَمْـعٌ يَعُـوقُ البَـثَّ فـي سَـاعَةِ البَـثِّ

كَسُحْبٍ بدونِ الغَيْثِ فـي مَوْسِمِ الغيْثِ

وحَقْـــلٌ مِـــنَ الآلامِ آنَ حَصَـــادُهُ

وقَدْ لانَ للمِحْـــرَاثِ فـي مَوْسِمِ الحَرْثِ

ومَـوْتٌ بـِهِ شَـكٌّ ... ومَـوْتٌ مُحَقَّـقٌ

ومَـوْتٌ بـلا قَبْـرٍ ... ومَـوْتٌ بـلا إرْثِ

إذا حُـرِمَ المِصْـريُّ قبْـرًا يَضُـمُّهُ

يَصِيرُ كَمَـا الأرْوَاحِ تُحْـرَمُ مِـنْ بَعْـثِ !

رُخَامَـةُ ذاكَ القَبْـرِ لَسْـتَ تَنَالُهَـا

ونَـارُكَ لَـمْ تُبْصِـرْ طَريقًـا إلى النَّفْـثِ

إذا كُنْـتَ لَـمْ تَأخُـذْ عَـزَاءً بمَيِّـتٍ

فَكَيْفَ - بِرَبِّ النَّاسِ - سَوْفَ لَهُ تَرْثِي ؟

* * *

في مِصْرَ تَنْتَظِرُ القُبُورُ زيَارَةً في كُلِّ شِبْهِ مُنَاسَبَاتٍ

فَالزِّيَارَةُ في الخَميسِ

ومَعْ قُدُومِ الأرْبَعِينِ وكُلِّ عِيدٍ ...

والزِّيَارَةُ كُلَّ عَامٍ

كَيْ يَعِيشَ المَرْءُ يَذكُرُ رَاحِلِينَ عَنِ الوُجُودِ

ويَجْمَعُ القَبْرُ الرُّفاةَ مِنَ الجُدُودِ إلى قَليلي الحَظِّ

مِنْ بَعْضِ الشَّبَابِ

لكَيْ يَصيرَ القَبْرُ مِثْلَ خَريطَةٍ زَمَنِيَّةٍ للعَائِلةْ !

في مِصْرَ تَخْتَلِفُ الأمُورُ

فَلَيْسَ مَعْنَى القَبْرِ إقْصَاءَ المَمَاتِ عَنِ الحَيَاةِ

وإنَّمَا أنْ يُصْبِحَ القَبْرُ المَزَارَ

ويُصْبِحَ الزُّوَّارُ حُجَّاجًا لذاكَ القَبْرِ طُولَ حَيَاتِهِمْ

فَزِيَارَةُ القَبْرِ التِزَامٌ بالتِزَامِ الحُزْنِ رَغْمَ النَّظْرَةِ المُتَفَائِلَةْ ... !

وزِيَارَةُ القَبْرِ اشْتِهَاءُ الحُزْنِ خَوْفَ الفَرْحِ

(إنَّ الفَرْحَ أمْرٌ عَارضٌ في رحْلةِ المِصْرِيِّ عَبْرَ العُمْرِ) !

والأفْرَاحُ في مِصْرَ اعْتِدَاءاتٌ عَلَى نُظُمِ الحَيَاةِ

نَغُضُّ طَرْفَ الحُزْنِ عَنْهَا كَيْ تَسِيرَ القَافِلَةْ ... !

وزِيَارَةُ القَبْرِ اعْتِيَادُ الحُزْنِ

تَدْرِيبًا عَلَى مَا سَوْفَ تَلْقَى - إنْ حَييتَ بمِصْرَ عَامًا أو أقَلَّ -

فَمَنْطِقُ الأحْزَانِ مَفْرُوضٌ ومَتْبُوعٌ

لكَيْ تَرْضَى بِقَسْمِكَ حِينَ تَأتي النَّازلةْ ... !

وزِيَارَةُ القَبْرِ اشْتِعَالُ الحُزْنِ في الأفْرَاحِ

دَمْجٌ للفقِيدِ - بِلا افتِعَالٍ - في سِيَاقَاتِ الوُجُودِ

لكَيْ يُرَى شَكْلُ العَلاقَةِ بالرَّحِيلِ قَطِيعَةً مُتَوَاصِلَةْ ... !

في مِصْرَ حِرْمَانُ الفَقِيدِ مِنَ الزِّيَارَةِ

كُلَّمَا اقْتَضَتِ الدُّمُوعُ

جَريمَةٌ مُتَكَامِلَةْ ... !

في مِصْرَ تَخْتَلِطُ الزِّيَارَةُ في المَدَافِنِ بالزِّيَارَةِ في البُيُوتْ ...

في مِصْرَ مَنْ حُرِمَ الزِّيارَةَ في المَمَاتِ يصِيرُ مَيْتًا لا يموتْ ...

في مِصْرَ يُلقَى النَّاسُ للأسْمَاكِ

مِثْلَ الطُّعْمِ والدُّنْيَا سُكُوتْ ...

أسْمَاكُ هَذا البَحْرِ تَأكُلُهُمْ

لكَيْ يَصْطَادَهَا مِنْ بَعْدُ أصْحَابُ اليُخُوتْ ... !

* * *

زيَـــارَةُ ذَاكَ القَبْـــرِ كُـــلُّ طُمُـــوحِي

بـــهَا تَمْسَـــحُ الأيَّـــامُ كُـــلَّ جُرُوحـــي

زيَـــارَةُ ذَاكَ القَبْـــرِ فَـــرْضٌ مُؤَجَّـــلٌ

هَـــدَمْتُ بـــهِ قَسْـــرًا جَميـــعَ صُـــرُوحِي

فصِـرْتُ كَـرُوحٍ فـي شَـقَاءٍ بجِسْـمِهَا

وصِـرْتُ كَجِسْـمٍ فـي الشَّـقَاءِ بـرُوحِ

فَـــلا بَحْـــرَ يُعْطِـــيني رُفَـــاةَ أحِبَّتِـــي

ولا بَـــرَّ يُعْطِـــيني طَريـــقَ نُـــزُوحِ !

* * *

في مِصْرَ قَدْ تَبْدُو طُقُوسُ الدَّفْنِ للعَيْنِ الغَريبَةِ ذُرْوَةَ

اسْتِسْلامِ شَعْبٍ للدِّيَانَاتِ القَدِيمَةِ والسَّلاطينِ العُتَاةْ ...

لَكِنْ طُقُوسُ الدَّفْنِ في مِصْرَ اخْتِرَاعٌ عَبْقَريٌّ

يَسْتَعِيدُ بِهِ الفَقِيدُ وُجُودَهُ في قَلْبِ مَنْ عَرَفُوهُ عَبْرَ العُمْرِ

كاليَخْضُورِ يَجْري في النَّبَاتْ ...

في مِصْرَ تَخْتَزِلُ الجِنَازَةُ كُلَّ أشْكَالِ الحَياةْ ...

تَبْدُو كَمَوْكِبِ قَائِدٍ ذي هَيْبَةٍ

قَدْ فَاقَ عِنْدَ النَّاسِ آلافَ الوُلاةْ ...

الفَنُّ والمِعْمَارُ والكميَاءُ في مِصْرَ القَديمَةِ والحَديثَةِ

ذُرْوَةُ اسْتِخْدَامِ دُنْيَا النَّاسِ مِنْ أجْلِ المَمَاتْ ... !

حِفْظُ الرُّفَاةِ بمِصْرَ يَعْنِي خُلْدُ ذَاتْ ... !

* * *

هَجَوْتُ وهَلْ يَدنُو هِجَائي مِنَ القَصْرِ ؟

وهَلْ تَمْنَعُ الأشْعَارُ غَائِلَةَ الدَّهْرِ ؟

هَجَوْتُ ومَا أطْفَأتُ حُرْقَةَ لَوْعَتي

فَعُدْتُ لذاكَ الهَجْوِ مِنْ أوَّلِ السَّطْرِ

جُنُودُكَ يَا جَبَّارُ سِكِّينُ قَاتِلٍ

يَزيدُ بِهِ لَيْلي ليُنْقَصَ مِنْ فَجْري

أنَامُ بِلا حُلْمٍ وأنْتَ مُحَكِّمٌ

وسِجْنُكَ مِنْ حَوْلي .. وبَوْلُكَ في نَهْري

وكُرْهُكَ في قَلبي ومَوْتُكَ مُنْيَتي

وسُمُّكَ في بَطْنِي .. وسَيْفُكَ في نَحْري

وتَحْسَبُني أرْضَى بحُكْمِكَ فَوْقَنَا

أُبَايِعُ في جَهْري وألْعَنُ في سِرِّي !

مَصَائِبُ كُلِّ الكَوْنِ تَبْدُو كَصَخْرَةٍ

وتَسْقُطُ جُلمُودًا عَلَى فرْحَةِ المِصْري

وأسْمَعُ صَرْخَاتِ الضَّحَايَا تحَشْرَجَتْ

تُنَادي بِلا جَدْوَى لِتَغْرَقَ في البَحْرِ

وأسْـــمَعُ لَعْنَـــاتِ الأهَـــالي كَطَلْقَـــةٍ

تَـرَبَّصُ كَـيْ تُطْلَـقَ فـي سَـاعَةِ الصِّـفْرِ

تَهُـونُ صُـرُوفُ الـدَّهْرِ فـي مِصْـرَ كُلُّهَـا

سِـوَى مَـوْتِ مِصْـرِيٍّ يَمُـوتُ بـِلا قَبْـرِ !

* * *

فـي مِصْرَ يُغْفَرُ للذي قَدْ فَاتَهُ عرْسٌ

ولَكِنْ ليْسَ يُغْفَرُ للذي تَرَكَ العَزَاءْ ...

فـي مِصْرَ فَاقَتْ مُشْكِلاتُ المَوْتِ مُشْكِلَةَ البَقَاءْ ... !

فـي مِصْرَ مَوْتَانَا بعَيْنِ النَّاسِ أحْيَاءٌ إذا دُفِنُوا كِرَامًا

- إنَّ مَعْنَى المَوْتِ مُخْتَزَلٌ بمَوْتٍ دونَ أيِّ طُقُوسِ دَفْنٍ -

مِثْلَ لَيْلٍ لَيْسَ يُنْهِيهِ الضِّيَاءْ ... !

يَا رَاحِلِينَ لقَعْرِ ذَاكَ البَحْرِ فـي لَيْلٍ بِلا ثَمَنٍ

ليَنْعَمَ قَاتِلُوكُمْ بالمَزيدِ مِنَ الثَّـرَاءْ ...

يَا رَاحِلِينَ بِلا جَثَامينَ اهْدَؤوا

إنِّي أرَى جُثْمَانَكُمْ فـي البَحْرِ

بَاتَ مُحَنَّطًا فـي شَكْلِ مَرْجَانٍ يَكُونُ بِهِ الخُلُودُ فَلا فَنَاءْ ...

يا رَاحِلِينَ بِلا قُبُورٍ

إنَّ قَبْرَكُمُ غَدَا قَبْرًا بِحَجْمِ البَحْرِ

شَاهِدُهُ السَّمَاءْ ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة — 8 صباحًا

البداية في — 2007/1/15م

وانتهت في — 2007/2/4م

حِـدَادٌ بدونِ عَـزاءْ ... ! (*)

(*) تعليقًا على فضائح التعذيب في سجون ومعتقلات كثيرٍ مِنَ الدول العربية !

أقُولُ بنَبْرَةِ مَنْ عَلَّمَتْهُ الحَيَاةْ ...

سَيَسْتَهْلِكُ القَبْرُ جَهْدًا كَبيرًا مِنَ الفَأسِ

كَيْ يَطْمَئِنَّ الجُنَاةْ ...

ونَحْنُ نُوَاصِلُ نَبْشَ القُبُورِ عَلَى مَرِّ تلْكَ العُقُودِ

لنَكْشِفَ سِرَّ الوَفَاةْ ...

تُعَدُّ التَّقَاريرُ زُورًا فَزُورًا لنُخْرِسَ عَدْلَ القُضَاةْ ...

نَدُورُ - كَجَامُوسَةٍ في السَّوَاقي - لنُثْبِتَ ظُلْمَ الطُّغَاةْ ...

فَيَبْدأُ سَعْيُ القَتيلِ مِنَ الصِّفْرِ

بَعْدَ جُنُوحِ الطَّريقِ إلى مُنْتَهَاهْ ...

نُواصِلُ سَعْيًا لثَأرٍ قَديمٍ جَديدٍ

لتَهْدأَ رُوحُ القَتيلِ ونَأخُذَ يَومًا عَزَاهْ ...

نُواصِلُ ثَأرًا لكَيْ تَسْتَقيمَ الحَيَاةْ ... !

* * *

أقُولُ بنَبْرَةِ طِفْلٍ عَلَى فِطْرَتِهْ ...

سَيَسْتَهْلِكُ الظُّلْمُ قَدْرًا كَبيرًا مِنَ الحِبْرِ

حَتَّى يَظَلَّ عَلَى سَطْوَتِهْ ...

تَقُولُ التَّقَارِيرُ : « مَاتَ الفَقيدُ بأمْرِ الإلهِ »

ولسْنَا نُشَكِّكُ في حِكْمَتِهْ ... !

تَقُولُ التَّقَارِيرُ : « مَاتَ »

وتُغْفِلُ فَصْلَ النِّهَايَةِ في قِصَّتِهْ ... !

تَبَلَّدُ كَفُّ التَّقَارِيرِ عَنْ جَسِّ رَسْمِ السِّيَاطِ عَلَى جُثَّتِهْ ...

تَصُمُّ التَّقَارِيرُ آذَانَها عَنْ صَدى صَرْخَتِهْ ...

وتُغْمِضُ أعْيُنَهَا عَنْ نَزِيفٍ تَحَدَّرَ مِنْ كُلِيَتِهْ ...

وتُنْكِرُ طَعْمَ الدِّمَاءِ عَلَى لِثَتِهْ ...

تَسُدُّ التَّقَارِيرُ أنْفَ الحَقِيقَةِ

كَيْ لا تَشُمَّ انْطِفَاءَ السَّجَائِرِ في أليَتِهْ ... !

تَقُولُ التَّقَارِيرُ : « مَاتَ » ... !

وتَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِ جُرْحٍ لَهُ شَكْلُ نَسْرٍ عَلَى جَبْهَتِهْ ... !!!

* * *

أقُولُ بنَبْرَةِ نَايٍ حَزِينٍ تَرَدَّدَ كَالأُغْنِيَةْ ...

سَيَسْتَهْلِكُ الدَّمْعُ قَدْرًا مِنَ الخَدِّ حَتَّى يَسيلَ إلى الأوْدِيَةْ ...

أراني تَحَوَّلَ حُزْني الكَبيرُ إلى تَوريَةْ ... !

وبُعْدي عَنِ المَوْتِ في السِّجْنِ دُونَ رَفيقٍ غَدا أُمْنِيَةْ ... !

أَعُدُّ الهِرَاواتِ حَوْلِيَ

ثُمَّ أُفَرِّقُ بَيْنَ سُقُوطِ الهِرَاواتِ فَوْقي

وبَيْنَ انْهِياريَ تَحْتَ خُطَى الأحذيَةْ ...

وأصْرُخُ في أوَّلِ (الحَفْلِ)

لَكِنْ يَضيعُ الصُّرَاخُ صَدًى قَدْ تَرَدَّدَ في الأقْبِيَةْ ...

أُعَاقَبُ بالمَاءِ

بالكَهْرُبَاءِ

بحَرْقي

برَمْيي

كَكِيسٍ مِنَ الرَّمْلِ مِنْ شَاهِقِ الأبْنِيَةْ ... !

وبَعْدَ اكْتِمَالِ جَريمَةِ قتلي

يُخَيَّرُ أهْليَ مَا بَيْنَ قتْلٍ جَديدٍ ...

وبَيْنَ قَبُولِ الدِّيَةْ ... !

* * *

أقُولُ بنَبْرَةِ سَهْمٍ يُصِيبُ الهَدَفْ ...

سَيَسْتَهْلِكُ السَّوْطُ قَدْرًا مِنَ اللَّحْمِ في ظُلُمَاتِ الغُرَفْ ...

أُعَذَّبُ في القَبْوِ لَيْلاً لكَيْ أعْتَرِفْ ...

وبَعْدَ اعْتِرَافي ...

أُعَذَّبُ أيْضًا ... !

لأنِّي رَفَضْتُ (التَّعَاوُنَ) في أوَّلِ الصَّفْعِ

والرَّفْضُ يَعْني الصَّلَفْ ...

أُوَقِّعُ فَوْقَ (المَحَاضِرِ)

أبْصُمُ

أُقْسِمُ

أنِّي اقْتَرَفْتُ جَميعَ الخَطَايا التي مَا اقْتَرَفْتُ

ولَنْ أقْتَرِفْ ... !

أُعَذَّبُ عَمْدًا ...

بِحُكْمِ الصِّدَفْ ... !

أُعَذَّبُ ثُمَّ أمُوتُ

فَيَحْيَا المُعَذِّبُ حُرًّا ...

وتُعْدَمُ في القَيْدِ كُلُّ مَعَاني الشَّرَفْ ...

وعَيْنُ الحَقيقَةِ تَشْهَدُ لَيْلاً عَلَى مَنْ لِقَتْلي احْتَرَفْ !

* * *

أقُولُ بنَبْرَةِ مَنْ يَتَحَدَّى الوَرَى ...

سَيَسْتَهْلِكُ السَّرْدُ قَدْرًا كَبيرًا مِنَ الفَضْحِ

حَتَّى يُرَى مُشْهَرا ...

لأنَّ الذي قَدْ جَرَى ...

قَدْ جَرَى ...

أشُكُّ - ولا شَكَّ - فيمَا أرَى ...

أحَقًا يُصَوِّرُني الوَغْدُ

كَيْ يَسْتَعِيدَ التَّلَذُّذَ بالقَتْلِ قَبْلَ المَنَامْ ... ؟

يُصَوِّرُنِي كَيْ يُرَوِّحَ عَنْ نَفْسِهِ حينَ يَشْكُو السَّآمْ ... !

كَأنَّ صُرَاخي غِنَاءٌ ...

كَأنَّ دُمُوعي مُدَامْ ...

برَبِّكَ يا قَاتِلي أيُّ ضِحْكٍ يُثيرُ صُرَاخي الكَئيبْ ؟

وأيُّ ابْتِهَاجٍ يُوَاتيكَ مِنْ زَفَرَاتِ النَّحيبْ ؟

وأيُّ شُذُوذٍ يُسَمَّى مِزَاجُكَ ذاكَ العَجيبْ ؟

تُرَاكَ تُفَاخِرُ بَيْنَ الوُحُوشِ بأنَّكَ صَاحِبُ أجْمَلِ لَقْطَةْ ؟

أتَجْمَعُ مِنْ لَقَطَاتِكَ (ألْبُومَ) حِطَّةْ ؟

تُرَاكَ تُشَاهِدُ تِلْكَ المَشَاهِدَ في صُحْبَةٍ مِنْ عِيَالِكَ

ثُمَّ تَقُولُ بأنَّ صُرَاخيَ غِبْطَةْ !!!

أمِثْلُكَ يُؤْمِنُ أنَّ بعَالَمِنا أيَّ مَعْنًى جَميلٍ؟

أمِ الكُفْرُ شَرْطٌ لتُصْبِحَ ضَابِطَ شُرْطَةْ ؟

* * *

أقُولُ بنَبْرَةِ قَطْرَةِ حِبْرٍ تُضيءُ القَلَمْ ...

سَيَسْتَهْلكُ البَوْحُ قَدْرًا مِنَ الصَّمْتِ حَتَّى تَقُومَ الهِمَمْ ...

أراني أعُضُّ لسَاني لأنْسى الألمْ ...

ببَعْضِ الألمْ .. !

أعُضُّ لسَاني لأنْسى الألمْ ...

يَزيدُ الألمْ ...

لَهُ طَعْمُ دَمْ ...

وتَضْحَكُ حَوْلِيَ دَائِرَةٌ مِنْ جُنُودٍ خَدَمْ ...

أُمَارِسُ بَعْضَ التَّأمُّلِ في صُورَةٍ عُلِّقَتْ في الجِدَارِ

لوَجْهِ الرَّئِيسِ الصَّنَمْ ... !

أحَقًّا أُعَذَّبُ زُورًا بمَبْنًى يُرَفْرِفُ مِنْ فَوْقِهِ لِبلادي عَلَمْ ؟؟؟

وُجُودي بأرْضي طَريقُ العَدَمْ ...

وتُهْمَةُ مِثْلي انْتِمَائي إلى الوَطَنِ المُسْتَبَاحِ ...

وتلكُمُ أُمُّ التُّهَمْ ... !!!

* * *

أقُولُ بنَبْرَةِ مَنْ يَتَلَقَّى مَلاكَ الضِّياءْ ...

سَيَسْتَهْلكُ السَّيْفَ دِرْعٌ مِنَ الثَّأرِ يَقْوى بهِ الضُّعَفَاءْ ...

سَيَأخُذُ يَوْمًا بِثَأري جُمُوعٌ مِنَ الشُّرَفَاءْ ...

سَيَأخُذُ يَوْمًا بِثَأريَ ضَابِطُ أمْنٍ يَكُونُ مِنَ البُسَطَاءْ ... !

وسَوْفَ يَظَلُّ دُعَاءٌ لأمِّيَ يَقْرَعُ بَابَ السَّمَاءْ ...

صَبَاحَ مَسَاءْ ...

وسَوْفَ تَظَلُّ المَلايينُ تَرْفَعُ مِنْ شَأنِ مِثْلي

وتَرْفَعُ كُلَّ صَلاةٍ جُيُوشَ دُعَاءْ ...

دُعَاءٍ يُجَدِّدُ مَعْنى الوَفَاءْ ...

أقُولُ بنَبْرَةِ مَنْ يَتَكَبَّرُ فَوْقَ الرِّثَاءْ ...

سَيَسْتَهْلِكُ الثَّأرُ وقْتَ الحِدَادِ ...

إلى أنْ يَجيءَ العَزَاءْ ... !!!

بَدَأتْ كتابتُها في القَاهِرَة 2008/1/25م

وانتهتْ في الإسكندرية 2008/2/1م

بَعْـدَ الحِـدَادْ ... !

شَكِّكْ بِجَدْوى اللَّوْنِ في عَصْرِ السَّوَادْ ...

واسْأَلْ زَبَانِيَةَ الهَوانِ لِمَ اسْتَوَيْتُمْ فَوْقَ أَرْضينَا

غِلاظًا لا شِدَادْ ... !

واغْرِفْ بِكَفِّكَ مِنْ مِيَاهِ النِّيلِ

بَعْضَ المُسْتَحِيلِ

ورَدِّدِ الصَّمْتَ المُحَمَّلَ بابْتِهَاجَاتِ الحِدَادْ ...

الدَّرْبُ دَرْبُ الغَيِّ والخَطْوُ الرَّشَادْ ...

بَيْنَ البِدَايَةِ والنِّهَايَةِ ألفُ وَادْ ...

* * *

العَبْدُ سَادْ ... !

والكَهْرُبَاءُ تَسِيرُ في الأَسْلاكِ

تَرْغَبُ أنْ تَرَاهَا ...

تُمْسِكُ الأسْلاكَ

تُصْعَقُ ...

لا تَرَاهَا ...

أنْتَ تُخْطئُ فَهْمَ هَاتيكَ الحَواسْ ... !

هُوَ ذلكَ الخَطأُ الأسَاسْ ...

مَارِسْ صَلاةَ الليلِ ...

رَدِّدْ آيَةَ الكُرْسِيِّ ...

واتْرُكْ كُلَّ آيَاتِ الجِهَادْ ...

مَوْتُ التَّمَرُّدِ مِنْهُ يُولَدُ الانقِيادْ ...

هَيْهَاتَ يَنْتَفِضُ الجَمَادْ ...

فَاغْرِفْ بِكَفِّكَ مِنْ مِيَاهِ النِّيلِ ...

بَعْضَ المُسْتَحِيلِ

النَّهْرُ يَجْري للغَدِ الحُلْوِ الجَميلِ

وأنْتَ تَسْبَحُ ضِدَّ تَيَّارِ العِبَادْ ...

شَكِّكْ بجَدْوى النَّوْمِ أو جَدْوى السُّهَادْ ... !

وازْهَدْ بأسْعَارِ المَديحِ إذا هَجَوْتَ

فَلَسْتَ مِمَّنْ يُرْكَبُونَ عَلَى الحِيَادْ !

وَزْنُ القَصِيدةِ مِنْ هَوى بَحْرِ الطَّويلِ

تَسِيلُ دَمْعَةَ حُرْقَةٍ مِنْ فَوقِ ذا الخَدِّ الأسِيلِ :

دُمُــوعٌ عَلَــى خَــدِّ القَصِــيدِ تَسِــيلُ

ودَرْبُــكَ فـي لَيْــلِ الشُّجُــونِ طَويــلُ

وتَلْمَــعُ أسْيَــافُ التَّفَــاؤُلِ لَحْظَــةً

وإنَّــكَ مِنْهــا قَاتِــلٌ وقَتِيــلُ

وتَرْسُـــمُ أشْكَـــالَ الحيَـــاةِ جَمِيلـــةً

فَلَـــيْسَ لَهـــا فـــي العَـــالَمينَ مَثيـــلُ

ورُبَّ قَبيـــحٍ يُسْتَـــدَلُّ لِحُسْنِـــهِ

ورُبَّ جَميـــلٍ مَـــا عَلَيْـــهِ دَليـــلُ

* * *

فُتِحَ المَزَادْ ...

والنَّاسُ في أمَلٍ يُخَاتِلُهُمْ وشِعْرُكَ سَاخِرٌ :

« هَيْهَاتَ يَشْتَعِلُ الرَّمَادْ ... ! »

رِئَةُ المَدينَةِ في الظَّلامِ تَلَيَّفَتْ

ومُؤَشِّرَاتُ شِفَاءِ تِلْكَ الأرْضِ

تَبْدو في انْخِفَاضْ ...

والظُّلْمُ فَوْقَ الأرْضِ فَاضْ ...

في غُرْفَةِ الإنْعَاشِ تَحْدُثُ مُعْجِزَاتٌ

أنْتَ مِنْهَا دَائمًا خَالي الوِفَاضْ ... !

مَا زِلْتَ تُؤمِنُ بالإلهِ وبالكَرَامَاتِ الكَثِيرَةِ

أنْتَ زُرْتَ الأوْلِيَاءَ

وأنْتَ حِينَ السِّلْمِ جَهَّزْتَ العَتَادْ ...

مَا زِلْتَ رَغْمَ المَوْتِ في تِلْكَ المُعَدَّاتِ العَقيمَةِ شَامِخًا

حَيَّ الفُؤادْ ...

مَا زَالَ قُرْبُ المَوْتِ يَبْدو في ابْتِعَادْ ...

مَا زَالَ نَقْصُكَ في ازْدِيادْ ...

يَا مَنْ بِوَقْتَ البَذْرِ تَحْلُمُ بالحَصَادْ ...

فَاغْرِفْ بكَفِّكَ مِنْ مِيَاهِ النِّيلِ

بَعْضَ المُسْتَحِيلِ

ولَيْسَ ذاكَ النِّيلُ بالشَّيءِ القَلِيلِ
ولَيْسَ قَارِبُكَ الشِّرَاعِيُّ الضَّعِيفُ مُهَيَّأً
كَيْ تُبْحِرَ الدُّنْيا عَلَيْهِ إلى المُرَادْ ...
صَوْتُ القَصِيدةِ كَالحَفِيفْ ...
وحُرُوفُهَا سَقَطَتْ كَأَوْرَاقِ الخَرِيفْ ...
تَبْكِي عَلَى بَحْرِ الخَفِيفْ ... !

يَـا قَصِـيدًا يَحْتَـارُ فِيـهِ الحَـرْفُ
مِثْـلُ لَحْـنٍ يَتُـوهُ فِيـهِ العَـزْفُ

وطُمُـوحٌ نَحْـوَ العُـلا فِـي صُـعُودٍ
لَـيْسَ يُضْـنِيهِ حِـينَ يُشْـرِقُ سَـقْفُ

شَـفْرَةُ الشِّـعْرِ قَـدْ أَسَـالَتْ دُمُـوعي
ولَهَـا أيضًـا مِـنْ دِمَـائِيَ نَـزْفُ !

بَحْـرُ يَأسِـي أمَـامَ مَرْكَـبِ شِـعْري
وعَلَيْـهِ قَصِـيدَتِي سَـوْفَ تَطْفُـو !

* * *

شَكِّكْ بجَدْوى السِّلْمِ إنْ مَا النَّذلُ قَادْ ...
وارْفَعْ قَصِيدَكَ رَايَةَ العِصْيَانِ تَمْلأُ كُلَّ أرْجَاءِ البِلادْ ...
واعْجَبْ لِجَمْعِكَ كَيْفَ أمْسَى في انْفِرَادْ ... !
واعْجَبْ لِكُرْهِ الظُّلْمِ يَنْبُتُ مِنْ بَسَاتِينِ الودَادْ ... !
واعْجَبْ لذَاكَ الحَقْلِ يُزْهِرُ حِينَ يَسْقِيهِ المِدَادْ ... !
واعْجَبْ لِفَرْحِكَ يَخْتَفِي قَبْلَ الحِدَادِ ...
واعْجَبْ لفَرْحِكَ مُعْلَنًا بَعْدَ الحِدَادْ ... !

القَاهِرَة
6.00

2006/6/19م
صباحًا

اعتذِرْ عَمَّا فعَلتْ ... !(*)

(*) تعليقاً على ما كتبه الشاعر الكبير محمود درويش « أنتَ منذ الآنَ غيرُكْ » ، بعد ما سُمِّيَ « انقلاب » حماس في قطاع غزة !

أُريدُ ادِّخَارَ قَليلٍ مِنَ الجُهْدِ كَيْ أسْتَطيعَ عُبُورَ الطَّريقْ ...

أُريدُ اقْتِطَاعَ مِسَاحَةِ قَلْبٍ

تُمَكِّنُنِي بَثَّ بَعْضِ المَوَدَّةِ نَحْوَ صَديقْ ...

أُريدُ الحِفَاظَ عَلَى قطْعَةٍ مِنْ مَرَايَا الفُؤادِ

لتَعْكِسَ بَعْضَ البَريقْ ...

أُريدُ الدِّفَاعَ بسَطْرٍ مِنَ الشِّعْرِ حُرٍّ

لأقْهَرَ عَصْرَ الرَّقيقْ ... !

* * *

« أنَا الآنَ أصْبَحْتُ غَيْري » تَقُولُ ...

تُجَمِّلُ نَثْرَكْ ...

وإنَّكَ مُنْذُ عُقُودٍ تَحوَّلْتَ غَيْرَكْ !!!

فَخُذْ مِنْ قَصِيدِكَ حِذرَكْ ...

لأنَّكَ عَبْرَ السِّنِينَ كَتَبْتَ مِنَ الشِّعْرِ

مَا سَوْفَ يُسْقِطُ عُذرَكْ !!!

ومِثْلُكَ لا يَسْتَفِزُّ الدَّقَائقَ كَيْ تَسْتَرِيحَ بِمَنْزِلِهِ

خَوْفَ مَوْتٍ قَرِيبْ ...

ومِثْلُكَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَصُوغُ الحُدَاءَ

- لِيُبْطِئَ مَرَّ الزَّمَانِ - فَيَخْلُدُ حَرْفُ الأديبْ ...

ومِثْلُكَ بالحَقِّ - لا بالبَلاغَةِ - يَهْزِمُ جَيْشَ المَغِيبْ ... !

أجِبْنِي بِرَبِّكَ ...

هَلْ نَحْنُ نَسْلُ التُّرَابِ وأنْتَ سَلِيلُ السَّمَاءْ ؟

أنَحْنُ الشَّيَاطِينُ إنْ مَا غَضِبْنَا وأنْتَ هُنَا آخِرُ الأنْبِيَاءْ ؟

إذا كُنْتَ يَوْمًا عَذرْتَ الذي قَدْ تَهَوَّرَ

وهْو يَسِيرُ بِدَرْبِ الخِيانَةِ

فَاعْذُرْ بِرَبِّكَ مَنْ قَدْ تَهَوَّرَ وهْو يَسِيرُ بِدَرْبِ الوَفَاءْ !!!

إذا كُنْتَ تَعْذُرُ كُلَّ الجَرَائِيمِ (فهْي تُنَفِّذُ أمْرَ الإلهِ)

فهَلَّا عَذَرْتَ جِهَازَ المَنَاعَةِ حِينَ يُقَاوِمُ هَذا البَلاءْ !!!

إذا كُنْتَ يَوْمًا تَقَمَّصْتَ (يُوسُفَ)

حَتَّى مَلأتَ الحَيَاةَ صُرَاخًا ودَمْعًا وشَكْوى

مِنَ الإخْوةِ الأقْرَبِينَ لِمَا أضْمَرُوا مِنْ عَدَاءْ ...

فَأولى بِكَ اليَوْمَ تَعْذُرُ غَيْرَكَ

وهْوَ يَمُرُّ بِنَفْسٍ مَضِيقِ الشَّقَاءْ !!!

أرَاكَ تُنَاصِرُ إخْوَةَ يُوسُفَ ...

تُلْقِي أخَاكَ بِجُبِّ البَلاغَةِ يَا أشْهَرَ الشُّعَرَاءْ !!!

وَقَفْتَ عَلَى نُقْطَةٍ للحِيَادِ ولَكِنْ ...

وَقَفْتَ عَلَيْهَا بِسِنِّ الحِذاءْ !!!

* * *

أُريدُ رَصيدًا مِنَ « البِنْجِ »

كَيْ أَتمَكَّنَ مِنْ فَهْمِ مَنْطِقِ شِعْرِ العَجَائِزْ ... !

أُريدُ ابْتِذَالَ القَصِيدَةِ

كَيْ تَسْتَريحَ بشِعْري جَميعُ المَرَاكِزْ ... !

أُريدُ إلَهًا مِنَ الكِذْبِ حَتَّى أُبَرِّرَ إطْلاقَ كُلِّ الغَرَائِزْ ... !

أُريدُ اتِّفَاقًا مِنَ الزَّيْتِ والمَاءِ ...

يُرْضِي ضَميري ...

ويُرْضِي لِجَانَ الجَوائِزْ ... !

أُريدُ عُيُونًا مِنَ الصَّمْغِ كَيْ لا أرَى الوَاقِفِينَ

بأمْرِ (أخِي / العَبْدِ) عِنْدَ الحَوَاجِزْ ... !

أُريدُ عُيُونًا كَعَيْنَيْكَ ...

تَرْهَبُ حَتَّى مُجَرَّدَ ذِكْرِ المَخَارِزْ ... !

* * *

أتَعْرِفُ طَعْمَ المُبيدَاتِ فوْقَ زُهُورٍ منَ اللَّوْزِ

تُشْهِرُ سِحْرَ النَّشِيدِ الجَمِيلْ ؟

أتُدْرِكُ مَعْنَى جَرِيمَةِ تَبْويرِ حَقْلٍ

يُكَوِّنُ جيلاً ليَصْنَعَ مِنْ بَعْدِهِ ألْفَ جيلْ ؟

أتَرْضَى بإسْكَاتِ نَايٍ يُغَرِّدُ وَقْتَ الأصيلْ ؟

قَتَلْتُ أُخَيَّ ؟

نَعَمْ ...

بَعْدَ أنْ كَادَ يَقْطَعُ كُلَّ جُذُوعِ النَّخِيلْ ؟

أخِي ذَاكَ بَدَّدَ أثْدَاءَ أمِّي - التي أرْضَعَتْكَ

وكُنْتَ تَحِنُّ لقَهْوَتِهَا - في نَوادي القِمَارِ ...

فَكَيْفَ أُلامُ بِحَجْرِي عَليهِ وفيهِ جَميعُ العَتَهْ ؟!

أخِي ذَاكَ يَقْطَعُ زَيْتُونَ بَيْدَرِ أهلي

لإنْشَاءِ مَلعَبِ (جُولْفٍ) ليُلهي بِهِ صُحْبَتَهْ ... !

أخِي ذَاكَ عَادَ إلى البَيْتِ بَعْدَ عُقُودِ اغْتِرَابٍ

بِحَالَةِ سُكْرٍ مُبينٍ

ثَريًّا جَديدًا رَمَى لأمَتَهْ !

فَمَدَّ يَدَيهِ إلى ثَدْيِ أُمِّي - وأُمِّكَ -

في شَهْوَةٍ ثُمَّ حِينَ اسْتَغَاثَتْ

تَجَرَّأَ صَفْعًا ورَكْلاً عَلَيْهَا ...

وحِينَ اسْتَفَاقَ رَأيْنَاهُ يَلْعَنُ أمِّي - وأُمَّكَ -

إذْ أفْسَدَتْ لَيْلَتَهْ ... !

وأنْتَ ...

تَلُومُ عَليَّ لأنِّيَ لَمْ أحْتَرِمْ شَهْوَتَهْ ... !!!

لَكَ اللّهُ ...

خَفِّفْ طُلُوعَكَ فَوْقي كَرَبٍّ يُحَدِّدُ كُلَّ اتِّجَاهَاتِ شِعْري

إذا مَا انْفَعَلْتْ ...

لَكَ اللّهُ ...

جَفِّفْ دُمُوعَكَ ...

وابْكِ عَلَى مَنْ بِيَوْمٍ قَتَلْتْ ... !

لَكَ اللّهُ ...

كَيْفَ تُطَالِبُ بالعَدْلِ مِنِّي ...

وأنْتَ بيَوْمٍ حَكَمْتَ

ولَسْتُ أرى مَنْ يَقُولُ : « عَدَلْتْ » !!!

نَجَحْتَ بِجَرْحِ المَعَاني الجَمِيلَةِ حَقًّا ...

وحينَ أتَيْتَ لتَمْدَحَ ذا الجُرْحَ (وَفْقَ البَلاغَةِ)

حَتْمًا فَشِلْتْ ... !!!

فَهَلا اعْتَذَرْتَ بِرَبِّكَ عَمَّا فَعَلتْ ... ؟؟؟

* * *

أُريدُ تَعَلُّمَ كَيْفَ يَصِيرُ الخُنُوعُ سَلِيقَةْ ...

أُريدُ مَجَازًا يُؤَشِّرُ عَكْسَ اتِّجَاهِ الحَقِيقَةْ ... !

أُريدُ قَضِيبًا مِنَ الشِّعْرِ أمْشِي عَلَيْهِ لِحَتْفي

كَمَعْنَىً بِدُونِ القَضِيبِ يَضِلُّ طَرِيقَهْ !

أُريدُ مَوَائدَ خَمْرٍ لأسْكَرَ ...

ثُمَّ أُسَطِّرُ - قَبْلَ الإفَاقَةِ -

بَعْضَ المَدِيحِ لأفْكَارِيَ المُسْتَفِيقَةْ !

أُريدُ أُضَمِّخُ مَجْدي بِعِطْرِ الفَصِيلِ الذَّلِيلِ

ولَعْنَةُ رَبِّي عَلَى كُلِّ بَاقِي الخَلِيقَةْ !

* * *

أيُوثَقُ فـي المَاءِ بَعْدَ تَلَوُّثِهِ بالتَّخَابُرِ

ضدَّ إرَادَةِ سُكَّانِ أُغْنِيَةٍ شَاعِرِيَّةْ ؟

أيُوثَقُ بالشِّعْرِ - رَغمَ فُنُونِ البَلاغَةِ -

حِينَ يُدَانُ بِسُوءِ الطَّوِيَّةْ ؟

لِمَاذا تَرَكْتَ القَصِيدَ وَحِيدا ؟

أتَجْهَلُ أنَّ القَصِيدَ يَمُوتُ بِدونِ الحَقِيقَةِ

مَهْمَا أجَدْتَ اخْتِرَاعَ التَّرَاكِيبِ

حَتَّى تَلُوحَ لَنَا مَنْطِقِيَّةْ ؟

تَوَجَّعْتُ عُمْرًا بِضِرْسٍ تَسَوَّسَ

نَغَّصَ لَيْلِي وصُبْحِي

وحِينَ تَخَلَّصْتُ مِنْهُ

رَأيْتُكَ تَصْرُخُ أنِّي مِثَالٌ عَلَى الهَمَجِيَّةْ !!!

بِرَبِّكَ - يَا مَنْ يُمَنْطِقُ حَتَّى الجُنُونَ -

أنَا ...

أمْ أخِي ...

بَاعَ هَذي القَضِيَّةْ ؟

بِرَبِّكَ - يَا مَنْ تَفَحَّمَ مِنْ شِدَّةِ الضَّوْءِ - قُلْ لي :

أنَا ...

أمْ أخِي ...

سَلَّمَ البُنْدُقِيَّةْ ؟

بِرَبِّكَ - يَا مَنْ يُوَاصِلُ حَصْدَ الجَوَائِزِ - قُلْ لي :

أنَا ...

أمْ أخِي ...

قَدْ تَمَلَّكَ شَيْئًا لكَيْ يَتَمَلَّكَهُ الشَّيءُ

كَالسَّهْمِ يَمْلِكُ قَلْبَ الرَّمِيَّةْ ؟

تَقُولُ بأنِّي قَطَعْتُ بِسَيْفِيَ رَأسَ أخِي ...

ثُمَّ تَبْكِي ...

وتَنْسَى بأنَّ أخِي رَأسُ حَيَّةْ !!!

أقُولُ بأنِّي رَفَضْتُ (السِّينَاريُو) ...

وأنْتَ تَقُولُ بأنِّيَ جُزْءٌ مِنَ المَسْرَحِيَّةْ !!!

كَلامُكَ - يَا مَنْ كَتَبْت لريتا - يُسَمَّى بِشَرِّ البَلِيَّةْ !!!

* * *

أُريدُ دُمُوعًا مِنَ القَارِ أبْكِي بِهَا فـي لَيَالي الظَّلامْ ...

أُريدُ رِدَاءً مِنَ الصَّمْتِ يَسْتُرُ عُرْيَ الكَلامْ ...

أُريدُ دَوَاءً لتُشْفَى القَصِيدَةُ حِينَ تُصَابُ بِدَاءِ الجُذَامْ ...

أُريدُ أرَاكَ - وأنْتَ الكَبيرُ - تُبَادِلُ تِلْكَ الجَمَاهيرَ

بَعْضَ احْتِرَامْ ...

أُريدُ أرَاكَ بِمَقْهَىً صَغِيرٍ بِيَوْمٍ لكَيْ أتَجَاهَلَ أنَّكَ فيهِ ...

لأنَّ عِقَابَكَ عِنْدِيَ ...

تَرْكُ السَّلامْ ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة 6.00 صباحًا — 2007/7/25م

اللَّيْـلُ ظَــلامْ ...

اللَّيْلُ ظَلامْ ...

تَتَمَدَّدُ فيهِ الأيَّامْ ...

تَتَكَوَّرُ فيهِ الأعْوَامْ ...

اللَّيْلُ كَبَيْتٍ دُونَ شَبَابيكْ ...

ولَهُ بَابٌ لا يُفْتَحُ إلا عِنْدَ صِيَاحِ الدِّيكْ ... !

* * *

اللَّيْلُ سَوَادْ ...

قَدْ لَفَّ الدُّنْيَا بالأصْفَادْ ...

تَتَوالَدُ فيهِ خَفَافيشُ الأفْكَارْ ...

تَتَحَرَّرُ فيهِ الأسْرَارْ ...

ويُصَلِّي فيهِ الأبْرَارْ ...

ويَصُولُ بِهِ الفُجَّارْ ...

اللَّيْلُ مَنَامٌ عِنْدَ البَعْضِ

وعِنْدَ البَعْضِ سُهَادْ ...

يَجْتَرُّ بِهِ الإنْسَانُ خَطِيئَتَهُ

ويُكَرِّرُ فيهِ الأوْرَادْ ...

اللَّيْلُ سِتَارْ ...

مِصْبَاحُ نُحَاسٍ يُحْبَسُ فيهِ نَهَارْ ...

وبِهِ دَوْمًا رَفْعُ الأسْعَارْ ... !

* * *

اللَّيْلُ دُرُوبْ ...

يَخْطُوهَا كُلُّ حَبِيبٍ للمَحْبُوبْ ... !

ويَتُوهُ بِهِ المَجْذوبْ ...

مَعْ كُلِّ مَسَاءٍ يَتْرُكُ هَذا اللَّيْلُ بقَلبي

قِطْعَةَ فَحْمٍ !

يَزدَادُ ظَلامي الجُوَّانِيُّ ويَكْبُرُ هَمِّي ...

جَبَرُوتُ اللَّيْلِ يُقَرِّرُ حَبْسَ الفَرْحِ

بغرفَةِ غَمِّي ...

أتَعَايَشُ مَعْ إظْلامِ اللَّيْلِ لأني أُدْرِكُ

أنَّ اللَّيْلَ نَهَارٌ مَقْلُوبْ !

يَتَنَفَّسُ فيهِ المَغْلُوبْ ...

بدُمُوعِ الشِّعْرِ المَعْزُوفِ المَكْتُوبْ ...

قَدْ سَوّى اللّٰهُ قُلُوبَ النَّاسِ ببَعْضِ سَوَادْ ...

والقَلْبُ الأبْيَضُ دُونَ سَوَادٍ قَلْبٌ مَثْقُوبْ ... !

* * *

اللَّيْلُ بَريقْ ...

قَدْ يُرْشِدُ مَنْ تَاهُوا لطَريقْ ...

والنُّورُ كَبَحْرٍ مُتَّسَعٍ

مِنْ خَلْفِ ظَلامٍ مَضيقْ ... !

في ظُلْمَةِ بَطْنِ الأُمِّ مَرَرْتُ

وعِشْتُ ظَلامًا عَبْرَ شُهُورْ !

وعَبَرْتُ مَضيقَ الظُّلْمَةِ نَحْوَ النُّورْ ...

والمَوْتُ كَبَحْرِ ظَلامٍ دُونَ رَفيقْ ...

وحَيَاةُ المَرْءِ لِذاكَ البَحْرِ المُظْلِمِ

نُورُ مَضيقْ ...

هَلْ سَوّى اللّهُ اللَّيلَ كَتَذْكيرٍ بظَلامٍ غَلَّفَ

أرْحَامًا ؟

تَدْريبًا عَبْرَ طَريقِ مُرُورْ ...

كَيْ لا يَسْتَوْحِشَ إنْسَانٌ مَقْبُورْ ... ؟!

* * *

اللَّيْلُ كَدَرْبٍ مَفْتُوحٍ

مِنْ تَحْتِ خُطَى الأحْلامْ ...

يَنْسَى الإنْسَانُ بِهِ مَا طَعْمُ مُمَارَسَةِ الأيَّامِ صَبَاحًا

في حَقْلِ الألغَامْ ... !

يَتَكَثَّفُ فيهِ دُعَاءُ المَظْلُومِ عَلَى الحُكَّامْ ... !

اللَّيْلُ سَوَادٌ دُونَ شَريكْ ...

يُخْفِي (أو يُظْهِرُ) كُلَّ مَسَاويكْ ... !

تَتَأمَّلُ فيهِ فَتَفْرُغُ مِنْكَ الأقْلامْ ...

اللَّيْلُ تُشَاهِدُ فيهِ القَصْفَ

الحَرْبَ ... !

السِّجْنَ ... !

الحُبَّ ... !

القَتْلَ ... !

الشَكَّ ... !

اللَّيْلُ جِدَارٌ يَرْشَحُ مِنْهُ نَهَارٌ يَنْبِضُ بالأحْلامْ ...

يَتَقَطَّرُ فيهِ دُعَاءُ المُتَّهَمِ المَسْجُونِ بلَيْلَةِ

تَنْفِيذٍ للحُكْمِ الظَّالِمِ بالإعْدَامْ !

القَاهِرَة 2005م

بَيْنَ قَصيدَتَيْنْ ... !

بَيْنَ القَصيدَةِ والقَصيدَةِ بِضْعُ خُطْواتٍ بلا زَرْعٍ

يُخَصِّصُها المُزَارِعُ لامتِدادِ الجِذرِ بَيْنَ النَّخْلتَيْنْ ...

هِي سَكْتَةٌ مَحْسُوبَةٌ (لا تَكْسِرُ الإيقَاعَ)

بَيْنَ النَّغْمَتَيْنْ ...

دَوْمًا يُنَاسِبُ سَمْتُها ما قَبْلَها

وتُمَهِّدُ الأحْلامَ فيما بَعْدَها

وكَأنَّهَا تَرْديدُ لازِمَةٍ بأُغْنِيَةٍ

فَتُثْري مَقْطَعَيْنْ ... !

يَحْتَارُ فيها أفضَلُ الشُّعَرَاءِ

كَيْفَ ...؟!

متى ... ؟!

وأيْنْ ...؟!

هِي لَحْظَةُ الإظْلامِ عِنْدَ البَعْضِ

والإشْرَاقِ عِنْدَ البَعْضِ

(والإظْلامُ والإشْرَاقُ يَمْتَزجَانِ عِنْدَ البَعْضِ)

مِثْلَ الشَّكِّ بَيْنَ حَقيقتَيْنْ ...

بَيْنَ القَصيدَةِ والقَصيدَةِ في الحَياةِ مِساحَةٌ زَرْقَاءُ

تَسْمَحُ بانْتِقَالِ الحُلْمِ مِنْ غُصْنٍ إلى غُصْنٍ

كَما العُصْفُورِ بَيْنَ الدَّوْحَتَيْنْ ...

هي لَحْظَةٌ تَمْتَدُّ في نِسَبِ الفَرَاغِ بالامْتِلاءِ

كَسُلَّمٍ في الوَهْمِ بَيْنَ اللَّحْظَتَيْنْ ...

بَيْنَ القَصيدَةِ والقَصيدَةِ وَحْشَةٌ

تَمْتَدُّ في ألَمٍ

وفي أمَلٍ

وفي وَجَعٍ

كَدَرْبٍ مُقْفِرٍ يَمْتَدُّ بَيْنَ مَدينَتَيْنْ ... !

أو هَدْأةٍ في قَلْبِ صوفيٍّ يُسَبِّحُ رَبَّهُ

بضَريحِ سَيِّدِنَا الحُسَيْنْ ...

تَسْتَرْسِلُ الأشْعَارُ عَبْرَ قَصيدَةٍ عَسَلِيَّةِ العَيْنَيْنِ

تَنْظُرُ للسَّمَاءِ

وتَنْتَهِي تلكَ القَصيدَةُ بانْسِدَالِ الجَفْنِ فَوْقَ المُقْلَتَيْنْ ...

بَيْنَ القَصيدَةِ والقَصيدَةِ غَمضَةُ العَيْنَيْنِ

بَيْنَ النَّظْرَتَيْنْ ...

أو جِلْسَةُ العُبَّادِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنْ ...

أو كَالشَّهِيقِ ورِعْشَةِ العُشَّاقِ بَيْنَ القُبْلَتَيْنْ ...

بَيْنَ القَصيدَةِ والقَصيدَةِ ألفُ ألفِ قَصيدةٍ

قَدْ أُدْغِمَتْ في بَعْضِهَا

وتَفَرَّقَتْ كَالشَّعْرِ بَيْنَ ضَفيرَتَيْنْ ...

مَا زلتُ بَيْنَهُما كَأنِّي عَامِلٌ يَسْعَى إلى تَسْديدِ دَيْنْ ...

مَا زلتُ أهْبِطُ فَوْقَ قُبَّةِ مَسْجِدٍ

أشْدو هَديلاً كَالحَمَامَةِ

ثُمَّ أسْرَحُ طَائِرًا للقُبَّةِ الأُخْرى

أُرَى بَيْنَ القَصيدَةِ والقَصيدَةِ

مِثْلَ سَعْي الطَّيْرِ بَيْنَ القُبَّتَيْنْ ...

أنَا مَنْ غَدا يَسْعى بأجْنِحَةِ القَصيدَةِ

كَالفَرَاشَةِ تَسْتَحِثُّ السَّعْيَ بَيْنَ الوَرْدَتَيْنْ ...

وأعيشُ في تِلْكَ المِسَاحَةِ في حِيَادٍ لَمْ يَزَلْ مُتَحَيِّزًا للشِّعْرِ

مثْلَ هُبُوطِ مَاءِ البَحْرِ بَيْنَ المَوْجَتَيْنْ ...

قَدْ بِتُّ في قَلَقٍ

أخَافُ مِنَ انْتِهَاءِ العُمْرِ قَبْلَ قَصيدَتي الأخْرى

كَأنِّي سَابِحٌ في لُجَّةٍ

يَخْشَى انْتِهَاءَ العُمْرِ بَيْنَ الضِّفَّتَيْنْ ...

بَيْنَ القَصيدَةِ والقَصيدَةِ عَالَمٌ مُتَشَابِكُ الأغْصَانِ

يَبْدو بَيْنَ بَيْنْ ...

بقَصيدَتي الأولى بَدَأتُ مَسِيرَةَ الألوانِ

والفُرْشَاةُ تَرْسُمُ في يَدي

زَمَنًا مِنَ الكَلِمَاتِ بَيْنَ اللَّوْحَتَيْنْ ...

مِنْ لَحْظَةِ الميلادِ حَتَّى المَوْتِ

يَقْطَعُ كُلُّ إنْسَانٍ مَسيرَتَهُ

وإنِّي قَدْ قَطَعْتُ العُمْرَ

بَيْنَ قَصيدَتَيْنْ ... !

القَاهِرَة
1.00

2008/3/16م
صباحًا

متى موعِدُ المَوتْ ... ! (*)

(*) تضامنًا مع أهل دمياط في معركتهم ضد مصنع « أجريوم » للأسمدة ، الذي سيقضي على جمال « رأس البر » إذا أقيم .

لِسَـانٌ بـِ « رَأسِ البَـرِّ » بَـاتَ يَصِـيحُ
فَيَمْتَـدُّ فـي شِـعْرِ الحيَـاةِ مَـديحُ

يَقُـولُ عَـنِ العَصْـرِ الـذي جَـارَ أهْلُـهُ :
« يُعَلِّمُـني مَـا الحُسْـنُ وهْـوَ قَبـيحُ ! »

لِسَـانٌ بـِ « رَأسِ البَـرِّ » يَنْطِـقُ صَـادِحًا
بِـمَوْجٍ عَلَـى الشُّـطْآنِ فَهْـوَ فَصِـيحُ

يُريـدونَ قَطْعًـا للِّسَـانِ بـِمَصْنَعٍ
وذاكَ دَمٌ فَـوْقَ الصُّـخُورِ يَسِـيحُ

سَـأذْبَحُ أعْـدَائي ... ورُبَّ مُجَاهِـدٍ
غَـدا يَـذْبَحُ الجَـزَّارَ وهْـوَ ذَبـيحُ !

* * *

« مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ » ؟

قَالَ اللِّسَانْ ... !

و « دِمْياطُ » مَشْغُولَةٌ في صِنَاعَةِ بَعْضِ الدُّرُوعْ ...

ويَصْدَحُ في الجَوِّ صَوْتُ الأذَانْ ...

و « دِمْياطُ » شَعْبٌ يُحِبُّ لِرَبِّ الأنَامِ الرُّكُوعْ ...

تُؤَسِّسُ « دِمْياطُ » أرْكَانَ رَفْضِ الخُنُوعْ ...

تُؤَثِّثُ « دِمْياطُ » بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ يَسْكُنُهُ شَاطِئَانْ ...

فَمِنْ (سُوقِ حِسْبَتِهَا)(*) تَسْتَمِدُّ طِرَازَ صُمُودِ المَبَاني

بِرَغْمِ مُرُورِ الزَّمَانْ ...

لَهَا في الجِهَادِ نَصِيبُ ...

لَهَا في البِحَارِ نَصِيبُ ...

(*) سوق الحسبة : من الأحياء القديمة في مدينة دمياط .

وفي النَّهْرِ أيْضًا نَصِيبُ ...

لَهَا في الحَيَاةِ نَصِيبُ ...

إلى أنْ أتَى وَجْهُ جَرَّافَةٍ كَيْ يُكَسِّرَ مِنْهَا الضُّلُوعْ ...

يَقُولُ :

« مَتَى مَوْعِدُ المَوْت ...؟ »

* * *

مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ ؟

يَا وَطَنَ المَوْتِ

يَا مَنْ تُحَاوِلُ إخْرَاسَ شَدْوِ لِسَانٍ عَلَى رَأسِ بَرِّ الخَلِيقَةِ

مُنْذُ بُزُوغِ البَلاغَةِ في شَكْلِ مَنْحُوتَةٍ في أثَاثٍ

لِيَبْقَى - برَغْمِ عُصُورِ الظَّلامِ - مُضِيئا ... !

مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ ؟

يَا وَطَنًا قَدْ رَأيْنَاهُ في الجَوْرِ دَوْمًا سَرِيعًا

وحِينَ يَرُدُّ المَظَالِمَ دَوْمًا بَطِيئا ... !

مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ ؟

يَا وَطَنًا بَاتَ يُخْزِي جُمُوعًا مِنَ المُحْسِنِينَ

ودَوْمًا يُرَقِّي المُسِيءَ !

مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ ؟

يَا وَطَنًا قَدْ شَكَوْتُ لَهُ مِنْ سُمُومِ الحَيَاةِ

فَقَالَ : « هَنِيئًا مَرِيئا » !

مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ يَا وَطَنًا

- رَغْمَ كُلِّ غَرَامِي -

أقُولُ لَهُ حِينَ أخْلُو بِنَفْسِي كَلامًا بَذِيئا ... !

مَتَى مَوْعِدُ المَوْتْ ... !

* * *

لِسَانٌ بِـ « رَأسِ البَرِّ » يَنْطِقُهَا جَهْرَا

سَأَلْعَنُ مَنْ يَبْغِي يُحَوِّلُنِي قَبْرَا

لِسَانٌ صَدُوحٌ بالجَمَالِ لِشَعْبِهِ

يُهَدْهِدُهُ بَحْرًا ... ويُلْهِمُهُ نَهْرا

سَيَبْقَى كَمَا (السُّوقِ القَدِيمِ)(*) قَصِيدةً

نُمَجِّدُهَا جِذْعًا فَتَشْكُرُنَا بَذْرا

(*) السوق القديم : من أجمل الأماكن في مدينة رأس البر .

كَمَا (شَارِعِ النِّيلِ)(1) الجَمِيلِ مُمَدَّدِ

فَيَبْدَأُ مِنْ نَهْرٍ لِيَخْتِمَهَا بَحْرا

« مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ ؟ » السُّؤالُ مُؤَكَّدٌ

سَنَقْتُلُهُ نَثْرًا ونَدْفِنُهُ شِعْرا !

* * *

« مَتَى مَوْعِدُ المَوْتِ » ؟

قَالَ اللِّسَانُ بلا رَجْفَةٍ ... !

فَرَدَّتْ زُحُوفُ الحيَاةِ كَمَا الصُّبْحِ في (حَارَةِ البِرْكَةِ)(2) ...

تَقُولُ الزُّحُوفُ بِكُلِّ التَّكَبُّرِ لَسْنا نَخَافُ الوَعِيدْ ...

نُصَنِّعُ أَخْشَابَنَا مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

(1) شارع النيل : شارع في مدينة رأس البر ، يمتد بمحاذاة النيل حتى يصل البحر حيث اللسان .

(2) حارة البركة : من الأماكن القديمة في مدينة دمياط .

وعِنْدَ اللُّزُومِ سَنَصْنَعُ دِرْعَ حَدِيدْ ...

سَنَمْنَعُ قَتْلَ الحيَاةِ بِقَتْلِ السَّمَكْ ...

فَدِمْيَاطُ بَحْرًا ونَهْرًا

تُوَاصِلُ غَزْلَ الحيَاةِ بِغَزْلِ « الشَّبَكْ » ...

و « دِمْياطُ » شَعْبٌ بِمَصْنَعِهِ في الصَّبَاحِ انْهَمَكْ ...

وحِينَ أَتَى جَحْفَلُ المَوْتِ قَامَ يُقَاوِمُهُ مَا ارْتَبَكْ ...

و « دِمْياطُ » شَعْبُ ادِّخَارٍ

يُوَفِّرُ طَاقَتَهُ في القِتَالِ

وحِينَ يُقَاتِلُ يَوْمًا تَرَاهُ بِجَيْشِ العَدُوِّ فَتَكْ ... !

يُريدونَ قَطْعَ لِسَانِ الحيَاةِ ...

ونَحْنُ قَطَعْنَا لِسَانَ سُؤالِ :

« مَتَى مَوْعِدُ المَوْتْ » ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة
2.00

2008/4/15م
صباحًا

مِصْرُ القَصِيدَةْ ... !

طَبيعَـــةُ الشِّـــعْرِ جُـــزْءٌ مِـــنْ غَرَائِبِـــهِ

ولَـــدَّةُ الشِّـــعْرِ جُـــزْءٌ مِـــنْ مَتَاعِبِـــهِ

يُعْطِـــي ويَمْنَـــعُ لا قَـــانُونَ يَحْكُمُـــهُ

كَـــالبَحْرِ يُمْعِـــنُ فـــي إذْلالِ رَاكِبِـــهِ !

مَـــا زلـــتُ أسْـــألُ نَفْسِـــي حـــينَ أنـــظِمُهُ

وَحْـــيٌ مِـــنَ اللّٰهِ ؟ أمْ أوْهَـــامُ كَاتِبِـــهِ ؟

أعْطَيْـــتُ للشِّـــعْرِ عُمْـــري دُونَمَـــا نَـــدَمٍ

وذاكَ جُـــزْءٌ يَسِـــيرٌ مِـــنْ مَطَالِبِـــهِ

الشِّـــعْرُ لـــي وَطَـــنٌ يُخْفِـــي خَرَائِطَـــهُ

كَـــيْ أقطَـــعَ العُمْـــرَ سَـــعْيًا فـــي مَنَاكِبِـــهِ

مَـــا زالَ يَكْـــتُمُ عَنِّـــي سِـــرَّ لَذَّتِـــهِ
كَـيْ يَمْـنَحَ الـرُّوحَ بَوْحًـا مِـنْ تَجَارِبِـهِ

قَـالوا : « الأصَـالَةُ عَيْـبٌ فـي مَشَـاعِرِنَا »
فَقُلْـتُ : « ذَلِـكَ ذَمٌّ فِـي مَنَاقِبِـهِ ! »

قَـالوا : « الحَدَاثَـةُ تُغْنِـي عَـنْ أصَـالَتِهِ »
فَقُلْـتُ : « ذَلِـكَ مَـدْحٌ فِـي مَثَالِبِـهِ ! »

قَـالوا : « الأصَـالَة تَسْهيلٌ » .. ومَا عَلِمُوا
أنَّ السُّـهُولَةَ فَـخٌّ مِـنْ مَصَاعِبِـهِ !

مَـذَاهِبُ النَّقْـدِ لا تُعْطِيـكَ جَـوْهَرَهُ
ولا تُصَـنِّفُ حَقًّـا فِـي مَرَاتِبِـهِ !

هَـلْ يَمْلِـكُ النَّقْـدُ تَصْـنِيفًا يُفَهِّمُنَـا
مَعْنَـى اخْتِيَـالِ غَـزَالٍ فِـي تَوَاثُبِـهِ ؟!

الشِّـعْرُ صَـقْرٌ وأحْلامِـي فَريسَـتُهُ
أنَـا المُقِـيمُ سَـعِيدًا فِـي مخالبِـهِ !

مَـا زَالَ يَغْمُـضُ أو يَنْسَـابُ مُتَّضِـحًا
كَالليْـلِ والصُّـبْحُ يَبْـدُو فِـي تَعَاقُبِـهِ

مَـا زَالَ صَـعْبًا وسَـهْلاً طَيِّعًـا نَزِقًـا
فَيُصْبِـغُ الـرُّوحَ شَـيْئًا مِـنْ تَضَارُبِـهِ

كَـالنَّهْرِ ... بـالرَّغْمِ مِـنْ إشْـهَارِ زُرْقَتِـهِ
تَـرَاهُ يَخْضَـرُّ حينًـا مِـنْ طَحَالبِـهِ !

مَـــا زلـــتُ أخْسَـــرُ خِلانِـــي لأُرْضِـــيَهُ

ومَـــا حَظِيـــتُ بشَـــيءٍ مِـــنْ مَكَاسِبـــهِ !

مَـــا زلـــتُ أبْعُـــدُ عَـــنْ لَـــذَّاتِ عَـــالَمِهِمْ

حَتَّـــى أنَـــالَ نَصِـــيبًا مِـــنْ تَقَارُبـــهِ

لـــي مَـــوْطِنٌ تَخْلُـــقُ الأشْـــعَارَ طَلْعَتُـــهُ

يَزُورُنِـــي بجَمِيـــلِ الوَجْـــهِ شَاحِبـــهِ

أجْتَـــازُ عُمْـــري وحُلْمِـــي فـــي مُخَيِّلَتِـــي

يَلْهُـــو كَطِفْـــلٍ بَـــرِيءٍ فـــي مَلاعِبـــهِ

أجْتَـــازُ مَعْرَكَتِـــي والشِّـــعْرُ يَرْأسُـــنِي

أنَـــا المُجَنَّـــدُ طَوْعًـــا فـــي كَتَائِبـــهِ

يَـا مِصْـرُ يَـا مَرْكَـزَ الأشْـعَارِ قَـد غَرِقَتْ

قَـــوَارِبُ الشِّـــعْرِ مِـــنْ سُـــقْيَا سَحَائِبـــهِ

لَكِنَّنِـــي لَـــمْ أزَلْ فـــي عُـــرْضِ لُجَّتِـــهِ

أطْفُـــو عَلَـــى ظَهْـــرِ لَـــوْحٍ مِـــنْ قَوَارِبِـــهِ !

* * *

أسْتَغْرِبُ اسْتِغْرَابَ بَعْضِ النَّاسِ مِنِّي شَاعِرًا يَتَعَالى ...

سُبْحَانَ مَنْ مَنَحَ القَصِيدَةَ رِفْعَةً وتَعَالى ...

رِفْقًا بقَافِيَتِي ...

فَلَسْتُ مُهَيَّأً للنَّثْرِ ...

إنَّ النَّثْرَ يَثْلَمُ شَفْرَتي الشِّعْرِيَّةَ المَسْنُونَةَ الجَاثي لَهَا

فِرَقُ الفَوَارِسِ في اسْتِكَانَةِ خُصْلَةٍ مِنْ شَعْرِ جَارِيَةٍ

كَغُصْنٍ بالنَّسَائِمِ مَالا ... !

النَّثْرُ سِلْسِلَةٌ تُقَيِّدُني

وغَيْري شِعْرُهُ يَبْدو لِوَثْبَةِ فِكْرِهِ أغْلالا !

الشِّعْرُ قَاعِدَةٌ وقَدْ أدْمَنْتُهَا ...

والنَّثْرُ كَاسْتِثْنَاءِ قَاعِدَةٍ لِيُثْبِتَهَا

فَيَنْتَصِرُ القَريضُ مُظَفَّرًا مُخْتَالا ... !

شَكْلُ القَصِيدَةِ حِينَ يَرْسُمُهَا فَمِي

شَكْلٌ يَفُوقُ الصَّوتَ والأشكَالا ... !

أشْدُو الفَصَاحَةَ مُوجِزًا وسِوَايَ يَهْذِرُ كَاتِبًا أزْجَالا ... !

شِعْري إذا مَا اسْتُحْسِنَ الإيجَازُ يَخْرُج مُوجَزًا

وإذا بَدَا اسْتِرْسَالُهُ حَسَنًا تَرَاهُ تَحَوَّلَ اسْتِرْسَالا ... !

فَتَرى الجَمَالَ بِرَكْبِهِ في يَمْنَةٍ

وإذا مَضَى نَحْوَ الشِّمَالِ تَرَى الجَمَالَ شِمَالا ... !

عِنْدي الأصَالَةُ دُونَ أيِّ تَكَلُّفٍ ...

وسِوَايَ يَنْتَحِلُ الأصَالَةَ بَاكِيًا أطْلالا ...

عِنْدي الحَدَاثَةُ جَوْهَرًا لا مَظْهَرًا

وسِوَايَ يَظْهَرُ بالحَدَاثَةِ سَارِقًا مُحْتَالا ...

شِعْري تَرَاكِيبٌ مُبَسَّطَةٌ مُرَكَّبَةٌ

كَخَيْلٍ رَاكِضَاتٍ في الفَلا تَتَوالى ...

يَنْسَابُ مِثْلَ النِّيلِ في مَجْرَى الهُدُوءِ

وإنْ تَحَوَّلَ غَاضِبًا ألْفَيْتَهُ مِثْلَ الجَوَارِحِ سَاقِطًا شَلالا ...

مَا زَالَ يَخْتَارُ الطَّرِيقَ الصَّعْبَ

يَنْطِقُ بالحَقَائِقِ جَامِعًا ثُوَّارَنَا مِنْ حَوْلِ مِدْفَأةِ الهَوى ...

وسِوَايَ يَجْمَعُ بالسُّكُوتِ أو المَدِيحِ

جَوَائِزَ السُّلْطَانِ والأمْوَالا ... !

مِصْرُ القَصِيدَةُ ...

شَعْبُهَا مُتَوَضِّئٌ بالشِّعْرِ والقَطَرَاتُ فَوقَ جَبِينِهِ تَتَلالا ... !

* * *

مِصْرُ القَصِيدُ ... تَمَادَتْ في مَكَارِمِهِ

كَالمَاءِ يَسْقُطُ طُهْرًا مِنْ غَمَائِمِهِ

مِصْرُ القَصِيدُ ... وشَعْبٌ سَلَّ قَافِيَةً

بَتَّارَةً أُشْهِرَتْ في وَجْهِ ظَالِمِهِ

الشِّعْرُ في مِصْرَ قِبْطِيٌّ بِصَوْمَعَةٍ

أو أزْهَرِيٌّ وَقُورٌ في عَمَائِمِهِ

يَخْتَالُ بَيْنَ جُمُوعِ النَّاسِ في أَلَقٍ

كَالقُطْنِ يَزْهُو بَيَاضًا في مَوَاسِمِهِ

الشِّعْرُ في مِصْرَ تَثْبِيتٌ لعَاشِقِهَا

أو طَلْقَةٌ أُطْلِقَتْ في رَأسِ حَاكِمِهِ

فَالقَصْرُ يَهْزَأُ بالأشْعَارِ في عَبَثٍ

يُجَرْجِرُ البَيْتَ زُورًا في مَحَاكِمِهِ

والقَصْرُ يَقْتُلُ شَعْبًا لا يُهَادِنُهُ

ويَمْلأُ الجَيْبَ خَصْمًا مِنْ تَرَاكُمِهِ

والنَّـــاسُ تُرْسِـــلُ للسُّـــلْطَانِ قَافِيَـــةً

كَرَكْلَةٍ قَدْ أصَابَتْ فـي (مَحَاشِمِهِ) !

الشِّـــعْرُ نُطْـــقٌ بـــإِعْدَامٍ لِظَالِمِنَـــا

وذَاكَ بَعْـــضُ جَـــزَاءٍ عَـــنْ جَرَائِمِـــهِ !

* * *

أرْتَاعُ لا أرْتَاحُ ...

وهِجَاءُ مَنْ بَاعُوا التُّرَابَ مُبَاحُ ... !

وأنَا لأرْضِي عَابِدٌ مَدَّاحُ ...

وقَصِيدَتي الإزْمِيلُ يَشْرُخُ فـي جِدَارِ الظُّلْمِ طَاقَةَ عَدْلِهِ

حَتَّى تَهُبَّ رِيَاحُ ...

عُوقِبْتُ بالليْلِ الطَّوِيلِ ولَهْفَةِ الشِّعْرِ الأصِيلِ

يَبِيتُ يَحْلُمُ بالبَدِيلِ وأعْيُنُ الرُّقَبَاءِ تَنْخُرُ فـي قَصِيدي

عَنْ مَعَانٍ خُبِّئَتْ بَلَحًا بِأكْمَامِ النَّخِيلِ

وعَنْ حُرُوفٍ قَدْ يَكُونُ بِهَا بَوَادِرُ ثَوْرَةٍ

فَيَفِيضُ نَهْرُ النِّيلِ ... !

* * *

وبَدَأتُ إلْقَاءَ القَصَائِدْ ...

والشِّعْرُ فـي التَّصْفِيقِ زَاهِدْ ...

والحُسْنُ نَحْوَ قَصِيدَتِي بالطَّوْعِ سَاجِدْ ...

صَدَرَتْ مَرَاسِيمُ البَشَاعَةِ والجَمَالُ هُنَا ولا مَلِكٌ لِيُصْدِرَهُ بِمَرْسُومٍ

سِوى مَرْثِيَّةٍ تَبْكِي عَلَى زَمَنِ القَصِيدَةِ

مِثْلَ صُوفِيٍّ تَمَسَّحَ فـي المَرَاقِدْ ... !

والشَّعْبُ مِنْ دُونِ القَصِيدَةِ فـي كُهُوفِ النَّثْرِ رَاقِدْ ... !

ومَوَاكِبُ الشُّعَرَاءِ تَمْدَحُ فـي مَرَاسِيمٍ مِنَ النَّثْرِ الرَّكِيكِ

تُوَاصِلُ المَدْحَ الذي يَمْتَدُّ مَا امْتَدَّتْ مِنَ القَصْرِ المَوَائِدْ ... !

وأنَا أُجَهِّزُ لانْقِلابي ضِدَّ أنْظِمَةِ المَدِيحِ

بَهَجْوِهَا وهِجَاءِ مَنْ بالزُّورِ يَمْدَحُهَا

وأمْدَحُ كُلَّ مَنْ يَهْجُو البَشَاعَةَ

كَيْ تَصِيرَ مَوَاكِبُ المَدْحِ الرَّخِيصَةُ

مِنْ أمَامِي كَالطَّرَائِدْ ... !

وأنَا بهَجْوِي أو مَدِيحِي دَائِمًا فـي الشِّعْرِ رَائِدْ !

* * *

شِعْـــرٌ تَـــنَفَّسَ نُـــورًا مِـــنْ تَفَـــرُّدِهِ

يَسْـــقِي التُّـــرَابَ بـــمَاءٍ مِـــنْ تَمَـــرُّدِهِ

يُهْـــدِي الكَنِيسَـــةَ قُدَّاسًـــا بـــقَافِيَةٍ

ولَـمْ يَـزَلْ قَائِمًـا فـي صَـحْنِ مَسْجِـدِهِ

يُصْـغِي إلى النِّيـلِ فـي مَاضِـيهِ مُرْتَجِيًـا

أنْ يَسْـتَمِرَّ مَسِـيلُ المَـاءِ فـي غَـدِهِ

حَـوَى القَـدِيمَ جَمَـالاً فـي أصَـالَتِهِ

ويَسْـتَثِيرُ ابْتِكَـارًا فـي تَجَـدُّدِهِ

كُـلُّ السُّيُوفِ بَـأمْرِ الشِّـعْرِ قَـدْ شُـحِذَتْ

وتِلْـكَ بَعْـضُ كَرَامَـاتٍ لِمِبْـرَدِهِ

تَأكَّـدَ الصُّـبْحُ فـي أنْـوارِ أحْرُفِـهِ

فَيَـهْـرُبُ اللَّيْـلُ خَـوْفـًا مِـنْ تَأكُّـدِهِ

الشِّعْرُ فـي مِصْرَ مِثْلُ البَـذْرِ مُنْكَمِشٌ

ومِثْـلُ سَـعْفِ نَخِيـلٍ فـي تَمَـدُّدِهِ ... !

مِصْـرُ القَصِـيدَةُ فـي أبْهَـى مَفَاتِنِهَـا

والشِّعْرُ فـي مِصْرَ فـي أقْصَـى تَمَجُّدِهِ !

* * *

مِصْرُ القَصِيدَةُ ...

وَزْنُهَا مِنْ شَهْقَةِ الأحْلامِ فـي الزَّمَنِ المَعِيبْ ...

مِصْرُ القَصِيدَةُ ...

نَايُ حُبٍّ صَاغَهُ الفَلاحُ تَحْتَ النَّخْلِ فـي وَقْتِ المَغِيبْ ...

مِصْرُ القَصِيدَةُ ...

بالعُرُوبَةِ تَلْفِظُ اللَّفْظَ الغَرِيبْ ...

مِصْرُ القَصِيدَةْ ...

قَدْ بَدَتْ كَالمَشْرَبِيَّةِ

تُوقِفُ النَّظَرَ الصَّفِيقَ وتُدْخِلُ الفَجْرَ القَرِيبْ ...

مِصْرُ القَصِيدَةْ ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة
3.30

2007/7/13م
صباحًا

أتَكَثَّفُ قَطْرَةْ ...

أتَكَثَّفُ قَطْرَةْ ...

وكَأنَّ الحُزْنَ مُسَطَّحُ مَاءٍ أو مُسْتَنْقَعُ عَبْرَةْ ...

وسِيَاطُ الشَّمْسِ عَلَى أَعْضَاءِ المَاءِ

تُمَزِّقُ ذاكَ المَاءْ ... !

تَسْتَخْلِصُ مِنْهُ الأشْلاءْ ...

وتُعِيدُ صِيَاغَةَ شَكْلِ الأشْيَاءْ ...

ويُوَاصِلُ نَحْرُ الحُزْنِ صُعُودًا نَحْوَ

بُرُودَةِ عِلِّيِّينْ ... !

وأنَا أتَكَثَّفُ قَطْرَةْ ... !

* * *

أتَألَّقُ فِكْرَةْ ...

أمْشي بِطَريقِ الهَزْلِ لأُصْبِحَ عِبْرَةْ ...

لا أمْلِكُ في دَرْبِ التَّفْكِيرِ الخِبْرَةْ ... !

وكَأنَّ الفِكْرَةَ قَدْ نُقِعَتْ في مَحْلُولٍ

حَمْضِيٍّ يَصْهَرُ ذَاتْ ...

مِنْ كَثْرَةِ آلامٍ جَرَّتْهَا آلافُ اللَّذاتْ ... !

أسْتَحْضِرُ للمُسْتَقْبَلِ مَا قَدْ فَاتْ ...

كَيْ أبْعَثَ مِنْ أفْكَاري شَكًّا مَاتْ ...

مَا بَيْنَ قُيُودٍ يَزْعُمُهَا شَيْخٌ مَدْفُونٌ

في الظُّلُمَاتْ ...

وقُيُودٍ للسُّلْطَانِ تُصِرُّ عَلَى حَظْرِ التَّجْوالِ

لأفْكَاري ، حَتّى في قَاعِ الزِّنْزَانَاتْ ... !

والشِّعْرُ بدَفْتَرِ ذِهْني فَجَّرَ صَبْرَهْ ...

كَيْ يَخْرقَ حَظْرَهْ ...

حَتّى أتَألَّقَ فِكْرَةْ ... !

* * *

أتَوَقَّدُ جَمْرَةْ ...

مِنْ نَارِ الأرْضِ ونَارِ الحَسْرَةْ ...

والوالي يَفْتَحُ فَوْقِي نَهْرَهْ ...

أتَحَوَّلُ نَارًا تَحْتَ المَاءِ

لِكَيْ تَسْتَدْفِئَ بي الأسْمَاكُ

ويُولَدَ في دِفْئِي العُذريِّ مَحَارْ ...

يَتَحَرَّكُ طَمْيُ النَّهْرِ بفِعْلِي

كَيْ تَشْدُو الأشْجَارْ ...

ويَجِيءُ وَلِيٌّ مَجْذُوبٌ (في عَيْنِ النَّاسِ)

فَيُشْعِلُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ الشَّمْعَةْ ...

فَتَصِيرُ لِذاكَ الشَّيْخِ كَرَامَةْ ... !

ويَسِيرُ النَّاسُ بِتِلْكَ الشَّمْعَةِ

كَيْ تَتَنَاسَلَ كَثْرَةْ ...

وأنَا في قَعْرِ النَّهْرِ بلا شَكٍّ ...

أتَوَقَّدُ جَمْرَةْ ... !

* * *

أتَسَنَّنُ شَفْرَةْ ...

سَيْفًا مَثْلُومًا مَصْقُولاً في عَصْرِ النُّدْرَةْ ...

أسْتَلْهِمُ مِنْ آلامِ المِبْرَدِ بَعْضَ القُدْرَةْ ...

والمِبْرَدُ يَقْطَعُ مِنْ أنَّاتِي ...

أتَوَحَّدُ بالآلامِ فَتَصْفُو ذاتي ...

أتَحَوَّلُ نَصْلاً مَصْقُولاً أتَرَقَّبُ ذاكَ

الجَيْشَ الآتِي ...

كَيْ تَبْزُغَ شَمْسُ الحُرِّيَّاتِ ...

وبِحَدِّي يَقْطَعُ ذاكَ الفَارِسُ رَأسَ الحَيَّاتِ ...

ويُقِيمُ الحَدَّ بِذاكَ الحَدِّ عَلَى

أجْنَادٍ كالأغْوَاتِ ...

أنْسَى آلامَ المِبْرَدِ بَعْدَ مَسِيري

عَبْرَ رقَابِ السَّادَاتِ ...

وأصُولُ أجُولْ ...

أشْتَاقُ المِبْرَدَ رَغْمَ صُعُوبَةِ تِلْكَ الخِبْرَةْ ...

أخْتَارُ المِبْرَدَ كَي

أتَسَنَّنَ شَفْرَةْ ... !

* * *

أتَحَوَّلُ بِذرَةْ ...

فـي جَوْفِ الأرْضِ أنَامُ أُمَارسُ حُلْمَ الخُضْرَةْ ...

مَدْفُونًا فـي أعْمَاقِ الأرْضِ كَأهْلِ الفَتْرَةْ ...

وسَوَادُ تُرَابِ الأرْضِ يَحِنُّ عَلَيَّ لأُصْبِحَ

جِذْعًا ...

غُصْنًا ...

زَهْرَةْ ...

أو كَرْمًا أعْنَابًا تَتَخَلَّقُ خَمْرَةْ ...

كَيْ يُلْهَمَ ذاكَ الشَّاعِرُ شِعْرَهْ ...

لا أعْرِفُ مَعْنَى اليَأسِ لأنِّي ... /

أتَكَثَّفُ قَطْرَةْ ...

صنعاء
9.00

2005/9/13م
مساءً

الاستِلامُ في المَشْرَحَةْ ... !(*)

(*) كُتِبَتْ هذه القصيدة بعد حادث تصادم قطاري « قليوب » صباح يوم 2006/8/21م، والذي عُجِنَتْ فيه جثث الضحايا وتشوهت ، وكل ذلك نتيجة

الإهمال الحكومي .

كَفُّ أبي تُمْسِكُ بالمِسْبَحَةْ : تُسْعِفُهُ في الذِّكْرِ والأرْجَحَةْ

أبي البَسِيطُ عَابِدٌ رَبَّهُ : وَزَائِرٌ لسَائِرِ الأضْرحَةْ

الذِّكْرُ عِنْدَ والدي عَادَةٌ : واللَّهْوُ في مَذْهَبِهِ مَقْبَحَةْ

أبي الرَّقِيقُ قَلْبُهُ كَمْ بَدَا : يَقْدِرُ بعْضُ القُبْحِ أنْ يَجْرَحَهْ !

ربَّى البَنِينَ والبَنَاتِ بالعُيُونِ السَّاهِرَةْ ...

كُلَّ صَبَاحٍ لَمْ يَزَلْ يَبْدأُ سَعْيًا يَنْتَهِي

بَعْدَ حُلُولِ العَاشِرَةْ ...

ويَرْكَبُ القِطَارَ مَعْ شُرُوقِ شَمْسِ الصُّبْحِ

مِنْ (بَنْهَا) لغَايَةٍ تُسَمَّى (القَاهِرَةْ) ... !

أبي البَسِيطُ ...

هَلْ تُرَى يَعْرِفُهُ سَاكِنُ (قَصْرِ الطَّاهِرَةْ) ؟!

فـي الحَرِّ لَـمْ يَمْلِكْ أبـي مِرْوَحَةْ : وكَفُّـهُ تُمْسِـكُ بالمِسْـبَحَةْ

وهِـزَّةُ القِطَـارِ فـي سَـيْرِهِ : قَدْ حَرَّكَتْ أحْلامَهُ المُفْرحَةْ

يَحْلُـمُ بالسَّـتْرِ لأبْنَائِـهِ : والحُلْمُ قدْ أضْحَى لهُ مَسْرَحَهْ

يَحْلُـمُ بـالحَجِّ ولَـوْ مَـرَّةً : يَشْتَاقُ فـي القُرْعَةِ أنْ يَرْبَحَهْ

لَمْ يَعْرِفِ التَّدْخِينَ والسَّجَائِرْ ...

ضَمِيرُهُ يَخْتَزِلُ الأنْوَارَ في الضَّمَائِرْ ...

لَمْ يَقْبَلِ الزَّكَاةَ عِنْدَ كِسْوَةِ الشِّتَاءِ

أو بدَاعِي الشَّفَقَةْ ... !

مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ قَبْرًا مِنَ المَقَابِرْ ...

مَصِيرُهُ مَقَابِرٌ للصَّدَقَةْ ...

وجُثَّةٌ مُحْتَرِقَةْ ...

أبي المُسَالِمُ الذي لَمْ يَقْتَرِفْ في عُمْرِهِ الصَّغَائِرْ ... !

لَحْنٌ أبي .. هَيْهَاتَ أنْ أصْدَحَهْ : وكَفُّـهُ تَعْبَـثُ بالمِسْـبَحَةْ

كَأنَّـهُ والطُّهْـرُ فـي وَجْهِـهِ : مِثْـلُ مَـلاكٍ دُونَمَـا أجْنِحَـةْ !

وهِـزَّةُ القِطَـارِ لَمَّـا تَـزَلْ : والحُلْمُ في عَيْنَيْهِ ما أوضَحَهْ

لَـوْ كُنْـتُ أدري أنَّـهُ رَاحِـلٌ : لَمْ يَكْفِ كُلُّ الدَّمْعِ أنْ أسْفَحَهْ !

وهَاتِفٌ قَدْ رَنَّ عِنْدَ جَارِنَا بالخَبَرِ المَشْؤومْ ...

أبي البَسِيطُ ...

قَدْ أتى مَصِيرُهُ المَحْتُومْ ...

مَا حَقَّقَ الأحْلامَ رَغْمَ السَّعْيِ

بَلْ قَدْ عَاشَ ثُمَّ مَاتَ كَالمَحْرُومْ ...

رَكَضْتُ نَحْوَ والِدي الذي يُسَمَّى اليَوْمَ بالمَرْحُومْ ... !

الخَطْبُ فـي عَيْنَـيَّ مَـا أفْدَحَـهْ : أبي هُنَا ؟ فـي هَـذهِ المَذْبَحَـةْ ؟

أيْـنَ أبـي ؟ ... أجَـابَنِي أرْعَـنٌ : بأنَّ « الاسْتِلامَ » فـي المَشْرَحَةْ !

عَجينَـةُ الأشْـلاءِ قَـدْ جُمِّعَـتْ : طَـوْداً يَفُـوقُ قُـدْرَةَ الزَّحْزَحَـةْ

أخَـذتُ مَـا عَرَفْتُ مِـنْ والـدي : ذِرَاعَـهُ ... تُمْسِـكُ بالمِسْـبَحَةْ !

يَقُولُ العَدُوُّ ... !(*)

(*) تعليقًا على ما نشرته الجرائد الإسرائيلية عن إهانة « كونداليزا رايس » وزيرة الخارجية الأمريكية للرئيس « محمود عباس » حين تباطأ في توقيع بيان مؤتمر « أنابوليس » للسلام (نوفمبر 2007م) ، فقد زجرته بقولها : « كفوا عن هذه الألاعيب ووقعوا » فما كان من الرئيس إلا أن أطاع صاغرًا ذليلا !!! ونقلت ذلك جريدتا الأهرام والشرق الأوسط ، ولم يصدر أي تكذيب من الرئاسة الفلسطينية !!!

يَقُولُ العَدُوُّ - وبَعْضُ كَلامِ العَدُوِّ صَحيحٌ بـرَغْمِ احْتِرَافِ العَدُوِّ الأكَاذِيبَ مُنْذُ الأزَلْ - ... !

يَقُولُ العَدُوُّ - وبَعْضُ العَدُوِّ (لَدَيْنَا) ، صَدِيقٌ (لَدَيْكَ) بِدُونِ خَجَلْ - ... !

يَقُولُ العَدُوُّ بِأنَّكَ وَقَّعْتَ كُلَّ الوَثَائِقِ - حِينَ زُجِرْتَ - بِكُلِّ وَجَلْ ... !

يَقُولُ العَدُوُّ كَذِئْبٍ ...

وأنْتَ سَكَتَّ ، ومَارَسْتَ دَوْرَ الحَمَلْ ...

عَهِدْنَاكَ دَوْمًا قَنُوطًا مَعَ الإخْوَةِ الأقْرَبِينَ

ولَكِنْ ...

يَقُولُ العَدُوُّ : بِأنَّكَ تَمْلِكُ صَبْرًا عَلَى الذُّلِّ

فَاقَ اصْطِبَارَ الجَمَلْ ... !!!

* * *

يَقُولُ العَدُوُّ - وبَعْضُ كَلامِ العَدُوِّ يُدينُ البَريءَ - بأنَّكَ

خَيْرُ شَريكٍ بِدَرْبِ السَّلامْ ...

يَقُولُ العَدُوُّ - وبَعْضُ كَلامِ العَدُوِّ يُبَرِّئُ مَنْ كَانَ يَوْمًا مُدَانًا -

بأنَّكَ أصْبَحْتَ غَيْرَ بَني عَمِّكَ (المُلْتَحِينَ) اللِّئامْ ...

أحَقًّا قَبلْتَ صُرَاخَ (النِّسَاءِ) بوَجْهِكَ جَهْرًا

ولَمْ يَنْتَفِضْ في عُرُوقِكَ دَمْ ؟

ألَمْ يَكُ حَقًّا عَليْكَ اسْتِعَارَةُ بَعْضِ صُرَاخِكَ

في وَجْهِ أبْنَاءِ عَمِّكَ كُلَّ صَبَاحٍ لتَبْصُقَهُ في وُجُوهِ العَجَمْ ؟

ألَمْ تَتَدَرَّبْ عَلَى قَوْلِ : « لا للتَّفَاوُضِ مَعْ غَاصِبينَ »

كَأنَّكَ سَيْفٌ عَلَى مَنْ ظَلَمْ !!؟

لماذا نَسِيتَ تُذَكِّرُ مَنْ زَجَرُوكَ بمَا قَدْ بَذَلتَ لَهُمْ مِنْ كَرَمْ ؟

لماذا نَسِيتَ تُنَبِّهُهُمْ أنَّ شَعْرَكَ شَابَ ...

وأنَّكَ أكْبَرُ - في السِّنِّ - مِنْ صَافعيكَ ...

وأنَّكَ لا تَتَحَمَّلُ هَذا الألَمْ ؟

يَقُولُ العَدُوُّ - وبَعْضُ اسْتِعَاراتِهِمْ لا تُفيدُ المَجَازَ -

بأنَّكَ حينَ تُذَلُّ تُسَالِمُ مثْلَ حَمَامِ الحَرَمْ ... !

يَقُولُ العَدُوُّ - وبعضُ كَلامِ العَدُوِّ مُهينٌ - :

أُهِنْتَ لأنَّك في نَظَرِ القَوْمِ لا تُحْتَرَمْ ... !!!

يَقُولُ العَدُوُّ بَأنَّ وُجُودَكَ دُونَ أخيكَ عَدَمْ ... !

* * *

يَقُولُ العَدُوُّ - وبَعْضُ كَلامِ العَدُوِّ هِجَاءٌ إذا كَانَ مَدْحًا -

بِأنَّكَ خَيْرُ الرِّجَالِ اعْتِدَالا ... !

يَقُولُ العَدُوُّ - وبَعْضُ كَلامِ العَدُوِّ مَدِيحٌ إذا كَانَ هَجْوًا -

بِأنَّكَ تَشْرَبُ كَأسَ المَذَلَّةِ حُلْوًا زُلالا ... !

وتَسْتَقْبِلُ الآمِرينَ بِوُدٍّ يَفِيضُ امْتِثالا ...

أُمِرْتَ بِتَوْقيعِ صَكِّ التَّنَازُلِ جَهْرًا

فَوَقَّعْتَ دُونَ نِقَاشٍ لِتَهْنَأ بَعْدَ التَّقَاعُدِ بَالا ... !

وقَدْ قيلَ : إنَّ صَديقَ العَدُوِّ عَدُوٌّ ...

وأنْتَ تَرى في صَديقِ أخيكَ عَدُوًّا رَهيبا ... !

وقَدْ قيلَ : إنَّ عَدُوَّ العَدُوِّ صَديقٌ ...

وأنْتَ تَرى في عَدُوِّ أخيكَ حَبيبا ... !

وقَدْ قيلَ يَوْمًا :

أنَا وأخِي وابْنُ عَمِّي عَلَى الأبْعَدينَ

نُوَاجِهُهُم رَغْمَ ما في القُلوبِ ...

فَيَبْقَى القريبُ قَريبا ...

ويَبْقَى الغَريبُ غريبا ... !

وأنْتَ تُصَعِّرُ خَدَّكَ للأقْرَبينَ بِكِبْرٍ يَلُوحُ لكُلِّ العُقُولِ مريبا ...

وتُزْجَرُ كَالطِّفْلِ (عِنْدَ الغَريبِ) بِذُلٍّ يَلُوحُ عَجِيبا ...

إذا كُنْتَ تَمْلِكُ هَذا التَّسَامُحَ حَقًّا

فَهَلَّا جَعَلْتَ لَنَا في رضَاكَ نَصِيبا ... !؟

أَلَسْتَ الرَّئِيسَ القَويَّ الأبِيَّ الفَتِيَّ الذَكِيَّ العَصِيَّ الجَلِيَّ النَّبِيَّ

الذي كَانَ يَقْصِفُ أسْمَاعَنَا بالرُّعُودِ عَلَى مَرِّ بِضْعِ سِنِينْ ... ؟

أَلَسْتَ الذي كَانَ يُقْسِمُ مُنْذُ أسَابيعَ

أنْ لا تَنَازُلَ عَنْ مَوْطِنِ اللاجئينْ ؟

أَلَسْتَ الذي حَاضَرَ العَالَمينَ بمَعْنَى (الثَّوَابِتِ) في العَالمينْ ؟

على أيِّ مَذْهَبِ خِزْيٍ قَبِلْتَ الخُضُوعَ المُهينْ ؟

ألَمْ يَكُ أوْلى الرُّضُوخُ لحُكْمِ أخيكْ ؟

ألَمْ يَكُ أوْلى - إذا كُنْتَ تَقْبَلُ ذُلاً - تُذَلُّ ببَيْتِكَ في السِّرِّ

كَيْ تَسْتَمِرَّ قَوِيًّا عَلَى قَاتليكْ ؟

يَقُولُ العَدُوُّ - وكُلُّ كَلامِ العَدُوِّ صَحِيحٌ إذا لَمْ يُرَدَّ عَليهِ -

بأنَّكَ قَدْ بِعْتَ ذاتَكَ لكِنْ خَسِرْتَ ...

لأنَّكَ لَمْ تَلْقَ مَنْ يَشْتَريكْ ... !!!

تَمَّتْ في القَاهِرَة
10.00

2007/12/13م
مساءً

عَلَى بُعْدِ خُلْدٍ ونِصْفْ ... (*)

(*) في الذكرى الأربعين لاغتيال المناضل « تشي جيفارا » .

على بُعْدِ صُبْحٍ ونِصْفٍ مِنَ اللَّيلِ كَانَ يَقُودُ الحيَارى ...

يَسيرُ بخَطٍّ شَديدِ الوُضُوحِ كَقَوسِ الكَمَانْ ... !

فيَسْري (كَصَوْتِ الكَمَانِ) تَخَطَّى الجِدَارَ ...

يُصَوِّرُ للثَّائِرينَ - كَمَا يَفْعَلُ الأنْبِيَاءُ - الجِنَانْ ...

فَيَظْهَرُ كالبَدْرِ للثَّائِرينَ بحينٍ

وحينًا يَغِيبُ كَبَدْرٍ وَرَاءَ الغُيُومِ تَوَارى ...

وتَبْسِمُ في الوَجْهِ غَمَّازَتَانْ ...

فَيَنْطَلِقُ الخَوْفُ نَحْوَ الأمَانْ ...

على بُعْدِ قَبْرٍ ونِصْفٍ مِنَ المَوْتِ كَانَ يَعِيشُ « جِفَارا » ... !

* * *

يُوَقِّعُ للثَّائِرينَ الذينَ أحَبُّوهُ وَصْلَ أمَانَةْ ...

وبَعْضُ (الرِّفَاقِ) يُوَقِّعُ للقَصْرِ وَصْلَ الخِيَانَةْ ... !

« جِفَارا » ... نَحِيفٌ ولا يَشْتَكِي

ويُوَاجِهُ مَنْ يَشْتَكُونَ البَدَانَةْ ... !

تَألَّمَ مِنْ كُلِّ صَفْعَةِ ظُلْمٍ عَلَى وَجْهِ مُسْتَضْعَفٍ

فَتَعَدَّى حُدُودَ المَكَانِ وحَازَ المَكَانَةْ ...

وبَعْضُ الرِّجَالِ بمَحْكَمَةِ الدَّهْرِ يَبْدو دَليلَ الإدَانَةْ ...

وبَعْضُ الرِّجَالِ لجِنْسِ الرِّجَالِ إهَانَةْ ...

على بُعْدِ صَبْرٍ ونِصْفٍ مِنَ اليَأسِ كَانَ يُقِيمُ « جِفَارا » ... !

* * *

تَوَاضَعَ بَيْنَ الجُنُودِ المُحِبِّينَ في المَلحَمَةْ ...

تَكَبَّرَ فَوْقَ النَّياشينِ والأوْسِمَةْ ...

تَقَدَّمَ مِثْلَ الشِّهَابِ يُضِيءُ لبِضْعِ ثَوانٍ ليَخْتَرقَ المَوْتَ

ليْسَ يُبَالي

فَكُلُّ الحَيَاةِ لَدَيْهِ تَهُونُ

ليَرْفَعَ مِنْ فَوْقِ مَنْ قَدْ أضَاؤوا بِهِ مَظلَمَةْ ...

تَحَوَّلَ فِعْلاً مِنَ العَدْلِ

في زَمَنٍ سَجَنَ العَدْلَ في مَكْلَمَةْ ...

لذلكَ كَانَ حَرِيًّا بِسَيْفِ التَّخَابُرِ أنْ يُعْدِمَهْ ...

بِلا مَحْكَمَةْ ... !

على بُعْدِ غَدْرٍ ونِصْفٍ مِنَ المَجْدِ كَانَ طَريقُ « جِفَارا » ... !

* * *

على بُعْدِ ربْوٍ ونِصْفٍ مِنَ النَّزْفِ

كَانَ شَهِيقُ « جِفَارا » ... !

على بُعْدِ عِطْرٍ ونِصْفٍ مِنَ المُنْتِنِينَ بكُلِّ القُصُورِ

يَفُوحُ « جِفَارا » ... !

يَسِيرُ عَلَى بُعْدِ قَصْفٍ ونِصْفٍ مِنَ السِّلْمِ

مِثْلَ الأنَامِلِ فَوْقَ البيانُو تُجِيدُ اخْتِيَارا ...

يَطِيرُ عَلَى بُعْدِ نَسْرٍ ونِصْفٍ مِنَ الأرْضِ

لا يَسْتَجِيبُ لأيِّ قَوَانِينِ جَذبٍ إلى الوَحْلِ

لا يَسْتَجِيبُ إلى (واقِعِيَّةِ) مَنْ واقَعُوا قَوْمَهُمْ

(واقِعِيَّةِ) مَنْ وَقَّعُوا خِزْيَهُمْ في القُصُورِ جِهَارا ...

يَلُوحُ عَلَى بُعْدِ نَجْمٍ ونِصْفٍ مِنَ المُمْكِنَاتِ

يُمَهِّدُ للثَّائِرِينَ المَدَارَا ...

يَصِيحُ عَلَى بُعْدِ صَوْتٍ ونِصْفٍ مِنَ الصَّمْتِ

كَيْ يَتَحَوَّلَ كُلُّ القُنُوطِ اصْطِبَارا ...

يُضِيءُ عَلَى بُعْدِ بَرْقٍ ونِصْفٍ مِنَ الرَّعْدِ

كَيْ يَسْتَحِيلَ الظَّلامُ - ولَو لَحْظَةً - في الليالي نَهَارا ...

على بُعْدِ خُلْدٍ ونِصْفٍ مِنَ المَوْتِ ...

سَوْفَ يَظَلُّ يَعِيشُ « جِفَارَا » ... !

القَاهِرَة
3.00

2007/10/28م
صباحًا

جِنَازَةٌ مُنْضَبِطَةْ ... ![1]

(*) تعليقاً على جنازة أديب مصر الأكبر « نجيب محفوظ » ، حيث أُهين الجثمان ، وأُهين الحاضرون من كتاب وشعراء - والشاعر من بينهم - ، وكل ذلك من أجل إجراءات أمنية سخيفة فُرضت على الجميع تأمينًا لرئيس الجمهورية ... ! يراجع في ذلك ما كتبه الراحل أ. مجدي مهنا في سبتمبر 2006 في جريدة « المصري اليوم » ، و أ. محمد سلماوي في كتابه « نجيب محفوظ المحطة الأخيرة » دار الشروق 2006 .

دَمْعِي ... وهَلْ تَكْفِي الدُّمُوعُ الجَارِيَاتُ لأبْكِيَكْ ؟

أتْقَنْتُ كُلَّ بُحُورِ شِعْرِ العُرْبِ حَتَّى أرْثِيَكْ !

ووَدِدْتُ لَوْ أتْقَنْتُ أشْكَالَ القِتَالِ لأحْمِيَكْ !

يَا صاحِبَ الجُثْمَانِ هَلْ حَقًّا أرَادُوا أنْ يُكَرِّمُوكَ ميْتًا

أمْ أرَادُوا سُلَّمًا كَيْ يَرْفَعُوا خِسَّتَهُمْ ؟

وهَلْ رَأوْكَ هَامَةً عَلْيَاءَ

أمْ قَدْ جَعَلوكَ حُلَّةً قَدْ سَتَرَتْ سَوْءَتَهُمْ ؟

وهَلْ رَأوْكَ كَنْزَ مِصْرَ

أمْ خَبِيئَةً أتَوا لَهَا لكَيْ يُحَصِّلُوا حِصَّتَهُمْ ؟؟؟

يَا أيُّهَا الرَّمْزُ الذي يُسْجَنُ في التَّابُوتْ ...

صَلَّى عَلَيْهِ قَائِمًا أسْوَأُ أهْلِ الفِقْهِ واللاهُوتْ ...

واليَوْمَ سَارَ خَلْفَهُ - كَيْ يَرْفَعُوا أقْدَارَهُمْ -

كُلُّ الذينَ يَعْبُدُونَ العَرْشَ والطَّاغُوتْ ... !

يَا أيُّهَا الأكَابِرْ ...

« نَجِيبُ » لَيْسَ مِلْكَكُمْ ... !

« نَجِيبُ » مِلْكُ الشَّعْبِ والبُسَطَاءْ ...

« نَجِيبُ » لَمْ يَعِشْ لَكُمْ ...

ولَمْ يَكُنْ مُصَفِّقًا في مَوْكِبِ المُلُوكِ والرُّؤَسَاءْ ...

« نَجِيبُ » كَانَ بَيْنَ هَذي النَّاسِ في الحَارَاتِ والحَانَاتِ

والبَاصَاتِ والشَّوَارِعِ القَدِيمَةْ ...

ولَيْسَ للخُيُولِ والمَظَاهِرِ الحَمْقَاءِ

في عَيْنَيْهِ أيُّ قيمَةْ ...

قَدْ نُقِشَتْ مَلامِحٌ لَهُ

عَلى أعْمِدَةِ المَعَابِدِ العَظِيمَةْ ...

حِكْمَتُهُ تَسَرَّبَتْ كَالعِطْرِ في أفْكَارِنَا الحَكِيمَةْ ...

وَدَّعَهُ الأحْبَابُ بالمَدَامِعْ ...

لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا حَمْلَ نَعْشِهِ الجَمِيلِ نَائمًا

في عَلَمٍ مِصْرِيٍّ ... !

بَلِ اكْتَفَوا بنَظْرَةٍ مِنْ آخِرِ الصُّفُوفِ

تَحْمِلُ الشُّجُونَ والهَوى كَشَاعِرٍ عُذريٍّ ... !

يَـــا أيُّهَـــا الـــنَّعْشُ والأحْـــزَانُ تَـــزْدَادُ

بَيْنِـــي وبَيْنَـــكَ أصْـــفَادٌ وأصْـــفَادُ

يَمْشِـــي وَرَاءَكَ خَـــوَّانٌ تُؤَلِّهُـــهُ

مَرَاسِـــمٌ وحِرَاسَـــاتٌ وأجْنَـــادُ

يَـا مَـنْ سُـجِنْتَ بِـهَذا الـنَّعْشِ قَـدْ مَنَعُـوا

نَاسًـا هَوَتْـكَ وكَـمْ مِـنْ حُـبِّهِمْ جَـادُوا

سِـجْنِي بِـحَجْمِ اتِّسَـاعِ الأرْضِ يَحْرُسُـهُ

بَعْـضُ العَبِيـدِ وأتْبَـاعٌ وأسْـيَادُ

كَـمْ تُقْـتُ حَمْلَـكَ لَكِـنْ صَـدَّنِي وَجَـلٌ

والقَلْـبُ خَـوْفَ جُنُـودِ العِلْـجِ مُنْقَـادُ

يَـا أيُّهَـا الـنَّعْشُ فَلْتَـرْأفْ بلَهْفَتِنَـا

إنَّـا بِدَرْبِـكَ أوْلادٌ وأحْفَـادُ ... !

يَا أيُّهَا الأكَابِرْ ...

يَا لابِسِي الأحْذِيَةِ اللّامِعَةِ البَرَّاقَةْ ...

أشْهَدُ أنَّ عُهْرَكُمْ كَانَ شَدِيدَ الدِّقَّةْ ...

سَرَقْتُمُ الأضْوَاءَ يَا سَادَةَ فَنِّ السِّرِقَةْ ... !

يَا أدْعِيَاءُ كُنْتُمُ فِي الجَانِبِ المُضِيءِ

فِي كَادِرِ تِلْكَ الصُّورَةْ ...

ونَحْنُ - أحْبَابَ الفَقِيدِ المُلْهَمِ المُلْهِمْ -

فِي الجَانِبِ المُؤْلِمْ ... !

« مَحْفُـوظُ » نَعْشُـكَ يَبْـدُو مُجْهَـدًا عَبِـسَا

بَـيْنَ الكِـرَامِ وأهْـلِ الحُكْـمِ قَـدْ دُعِسَـا

ألقَـوا بِـنَعْشِكَ تَحْـتَ الشَّـمْسِ حَارِقَـةً

والـنَّعْشُ مِـنْ أدَبٍ مَـا رَدَّ أو هَمَسَـا !

حَتَّـى أتَـى مَوْكِـبُ الطَّـاوُوسِ فـي بَـذَخٍ

والكُـلُّ فـي قَبْضَـةِ الحُـرَّاسِ قَـدْ حُبِـسَا

الكُـــلُّ مُنْتَبِـــهٌ والسَّـــيْفُ يَحْرُسُـــنَا

والأمْـنُ يَفْتِـكُ بالإنْسَـانِ لَـوْ عَطَسَـا !

والنَّعْشُ يَهْتِفُ : « أيْنَ النَّاسُ تَحْمِلُنِي؟ »

والنَّـاسُ تَحْمِـلُ مِـنْ إبْدَاعِـهِ قَبَسَـا

تِلْـكَ الجِنَـازَةُ لا تَرْقَـى لِصَاحِبِـهَا

والكُـلُّ حَوْقَـلَ فـي إسْـرَارِهِ تَعِسَـا

يَـا عِلْيَـةَ القَـوْمِ خَلُّـوا بَـيْنَ لَهْفَتِنَـا

وبَـيْنَ نَعْـشٍ مِـنَ الأحْبَـابِ مَـا لُمِسَـا !

تَضَـاعَفَ الحُـزْنُ فـي قَلْبِـي ، ونَـاظِرُهُ

يَرْنُـو لِـنَعْشِ حَبِيـبِ القَلْـبِ مُخْتَلِسَـا !

يَا أيُّهَا الرَّئِيسُ بالوَضَاعَةْ ...

يَا أيُّهَا الوَزِيرُ بالرَّضَاعَةْ ...

يَا صَاحِبَ الفَضِيلَةِ المُضَاعَةْ ...

يَا مَالِئِي الكُرُوشِ فـي المَجَاعَةْ ...

يَا صَانِعِي الأمْجَادِ بالرُّكُوعِ فـي بَرَاعَةْ ...

اليَوْمَ شَيَّعْنَا حَبِيبًا سَاكِنًا فـي قَلْبِ قَلْبِ النَّاسِ

لا فـي السُّلْطَةْ ... !

والقَلْبُ مِنْ مَهَانَةِ التَّشْيِيعِ قَدْ أتَتْهُ ألْفُ جَلْطَةْ ... !

حَرَمْتُمُ الشَّعْبَ البَسِيطَ مِنْ وَدَاعِهِ وتِلْكَ خُطَّةْ ... !

الرَّاحِلُ العَظِيمُ كَانَ كَاتِبًا لَيْسَ لِوَاءَ شُرْطَةْ ... !!!

مَحْفُوظُ عَاشَ ثُمَّ مَاتَ واقِفًا كَالشَّجَرَةْ ...

واليَوْمَ كُلُّ مَنْ مَشَى فِي هَذِهِ الجِنَازَةِ المُنْضَبِطَةْ ...

كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَحْمِلُ بَلْطَةْ ... !

القَاهِرَة 2006/9/1م

4.00 صباحًا

مَوْتٌ أكيدْ ... !

بدونِ اخْتِيارٍ يَجيءُ الوليدْ ...

بِطَاقَةَ تَعْزيةٍ في البَريدْ ...

بِنَفْسِ العِبَارَاتِ

نَفْسِ الطُّمُوحِ...

يَجيءُ ...

ومَا مِنْ جَديدْ ...

يَعِيشُ يُغَنِّي لِمَجْدٍ تَليدْ ...

فَلا هُو يَوْمًا بِهِ يَسْتَفيدْ ...

ولا هُوَ يومًا يُفِيدْ ...

يَعيشُ عَلَى مَنْطِقِ السَّابقينَ

فَيُبْغِضُ مَا أبغَضُوهُ

ويَسْعَى لتَحقيقِ أحْلامِهِمْ ...

ثُمَّ يُدْرِكُ - فـي آخِرِ العُمْرِ - مَا لا يُريدْ ... !

ويَحْظَى بِمَوْتٍ أكيدْ ... !

* * *

سَأخْتَرِعُ اليَوْمَ ذَاتًا تُطِيعُ ولا تَتَمَرَّدُ

كَيْ أسْتَطِيعَ أُوَجِّهُهَا للطَّرِيقِ الذي قَدْ أرَدْتُ أسِيرُ بِهِ مِنْ قَدِيمِ

الزَّمَانْ ...

أنَا مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ تُقَرِّرُ ذاتٌ (سِوايَ)

مَسيري بِكُلِّ طَرِيقٍ وَحيدًا يُصَاحِبُ جَيْشَ يَقِينٍ

تَأمَّرَ مِنْ فَوْقِهِ (جِنِرالٌ) مِنَ الشَّكِّ كَيْ يَصِلَ الجَيْشُ

بَعْدَ قُرُونٍ مِنَ السَّيْرِ نَحْوَ المَكَانْ ...

مَكَانُ الإقَامَةِ يَبْدُو جَميلاً

(لذاتي التي فـي الخَيَالِ اخْتَرَعْتُ)

ولَكِنَّ ذاتِي (التي مَا اخْتَرَعْتُ)

تَقُولُ بأنِّي خَسِرْتُ الرِّهَانْ ... !

سَأخْتَرِعُ اليَوْمَ ذاتًا تَعِيشُ بدُوني ...

وأحْظَى بِمَوْتٍ أكيدْ ... !

* * *

سَأخْلُقُ تَرْكِيبَتِي الدَّاخِلِيَّةْ ...

سَأرْفُضُ كُلَّ افْتِرَاضَاتِ مَنْ سَبَقُوني

لتِلْكَ الحَيَاةِ الغَبِيَّةْ ...

سَأرْفُضُ أنْ أتَحَوَّلَ سِنًّا بِمِشْطٍ

فَلَسْنَا سَوَاسِيَةً في الدُّمُوعِ

ولَسْنَا سَوَاسِيَةً في السُّرُورِ

ولَسْنَا سَوَاسِيَةً حينَ نَمْشي عَلَى النِّيلِ

كُلٌّ لَهُ دَمْعُهُ ...

فَرْحُهُ ...

نِيلُهُ ...

نَحْنُ لَسْنَا بهَذا الزَّمَانِ جَميعًا نَعيشُ الحيَاةَ الرَّضِيَّة ...

سَأكْسِرُهَا قِشْرَتي الخَارِجِيَّةْ ...

وأحْظَى بِمَوْتٍ أكيدْ ... !

* * *

عَلى شِبْهِ صُبْحٍ أُفيقُ

وكُنْتُ حَظيتُ بِشِبْهِ مَنَامٍ بِشِبْهِ مَسَاءْ ...

بِشِبْهِ ابْتِدَاءٍ ليَوْمِي أسيرُ بِشِبْهِ خُطًى

كَيْ أُطَارِدَ مَا يُشْبِهُ الرِّزْقَ

كَيْ لا أُضَيِّعَ مَا يُشْبِهُ الفُرَصَ الضَّائِعَاتِ

وآكُلَ شِبْهَ طَعَامٍ

وأشْرَبَ شِبْهَ شَرَابٍ

لأحْنُو عَلَى شِبْهِ جِسْمٍ ضَعِيفٍ

وأبْدَأَ شِبْهَ صَلاةٍ بِشِبْهِ خُشُوعٍ

لأحْنُو عَلَى شِبْهِ رُوحٍ بِشِبْهِ صَفَاءْ ...

أُحِسُّ بُعَيْدَ الصَّلاةِ بِشِبْهِ ضِيَاءْ ...

أعُودُ إلى شِبْهِ بَيْتٍ صَغِيرٍ

لأحْظَى بِشِبْهِ مَنَامٍ بِشِبْهِ مَسَاءْ ...

أُمَارِسُ شِبْهَ حَيَاةٍ ...

وأحْظَى بِمَوْتٍ أكيدْ ... !

* * *

أُطَفِّفُ مِكْيَالَ حُزْني لأبْدو سَعِيدًا

ولَكِنَّ مَنْ يَشْتَري فَرْحَتي كَانَ يَعْلَمُ أنِّي أغُشُّ

لذلكَ لَمْ يَرْضَ يَبْتَاعُ مِنِّي

ولكِنَّهُ بَاعَني بَعْضَ حُزْنٍ مُقَابِلَ ذِكْرى طُفُولَةِ فَرْحي

وقَالَ - وقَدْ لَمَعَ الطَّمْعُ في فَكِّهِ - :

« أنْتُمُ الشُّعَرَاءُ

تُريدُونَ حُزْنًا كَبيرًا لكَيْ تَمْنَحُوا للحَيَاةِ الفَرَحْ » !!!

أجَبْتُ :

« حَيَاةُ القَصِيدَةِ مَرْهُونَةٌ في (بُنُوكِ) الدُّمُوعْ » !!!

وشَاعِرُهَا سَوْفَ يَحْظَى بِمَوْتٍ أكيدْ ... !

* * *

يُعَاقِبُنِي الشَّكُّ في المُمْكِنَاتِ بِسَوْطٍ مِنَ المُسْتَحِيلْ ...

يُعَاقِبُنِي الشَّكُّ وَجْهًا قَبيحًا يُشَوِّهُ كُلَّ جَميلْ ...

فَأنْظُرُ في دَفْتَرِ الذِّكْرَيَاتِ

أشُكُّ بِكُلِّ سُطُورِ حَيَاتي بِرَغْمِ وُجُودِ الدَّليلْ ...

يُعَاقِبُني الشَّكُّ بالشَّكِّ في كُلِّ مَعْنًى

لأخْلِطَ بَيْن القَبيحِ وبَيْن الجَميلِ وبَيْن الكَثيرِ وبَيْن القَليلْ ...

فأسْهَرُ مِنْ أجْلِ سَطْرٍ مِنَ الشِّعْرِ لَيْلاً

أُرَاجِعُ كُلَّ بُحُورِ الخَليلْ ...

أشُكُّ بكُلِّ حَيَاتِي

ولَسْتُ أشُكُّ بمَوْتِي الأكيدْ ...!

تَمَّتْ في القَاهِرَة
3.30

2007م
صباحًا

عَـاطِـــــلْ ... !

أرْضَى ...

ولا يَرْضَى الزَّمَانُ بِمَا تَحَقَّقَ مِنْ رِضَايَ

وإنْ ضَجِرْتُ أرَى الزَّمَانَ يَبُثُّ فِي وَجْهِي الضَّجَرْ ... !

أبْكِي ...

ولا يَبْكِي الزَّمَانُ لِمَا تَسَرَّبَ مِنْ بُكَائِيَ خُفْيَةً

وإذا ضَحِكْتُ أرَى الزَّمَانَ يَرُدُّ ضِحْكِي ضَاحِكًا

بِشَمَاتَةٍ تُلْقَى بِوَجْهِي كَالحَجَرْ ... !

أشْكُو ...

ولا أجِدُ احْتِمَالاتٍ لإصْغَاءٍ لِشَكْوَايَ التي

مَا زِلْتُ أكْتُبُهَا وأرْسُمُهَا وأنْحِتُهَا وأعْزِفُهَا

وأُنْشِدُهَا وأُخْفِيهَا وأَنْشُرُهَا وأُرْسِلُهَا

وأغْزِلُهَا وأفْتِلُهَا وأُلْقِيهَا وأحْمِلُهَا ...

لأَرْجِعَ للهُمُومِ مُطَأطِئًا ...

كَالطِّفْلِ عَادَ لأُمِّهِ دُونَ الحَلِيبِ أو الجُنَيْهِ

ودُونَمَا صَحْنٍ مِنَ الفُخَّارِ فِي الدَّرْبِ انْكَسَرْ ... !

أدْعُـو ...

ولا رَبٌ يُسَايِرُنِي بِأيِّ بِشَارَةٍ تُعْطِي احْتِمَالَ إجَابَةٍ

وكَأنَّنِي أدْعُو بِمَا لا يُسْتَجَابُ ...

كَأنَّ إلحَاحِي عَلَى رَبِّي بَدَا كُفْرًا صَرِيحًا بالقَدَرْ ... !

* * *

أنَا فِي طريقِ العُسْرِ مَاشٍ للأبَدْ ...

أنَا أرْنَبُ الأحْلامِ فِي فَكِّ الأسَدْ ...

أنا لانْقِلابِ الحَالِ مَضْرُوبٌ مِثَالاً كَيْفَ جَدَّ ومَا وَجَدْ ... !

أنَا مَنْ تَعَلَّمَ - بَعْدَمَا فَاتَ الأوانُ - بأنَّ أرْضَ العُرْبِ قَاسِيَةٌ

عَلى مَنْ فِي دِرَاسَتِهِ اجْتَهَدْ ...

كُلُّ الكَرَاسِي وُرِّثَتْ فِي مَوْطِنِي ...

مِنْ إسْتِ شَاغِلِهَا ...

إلى إسْتِ الوَلَدْ ... !

وإذا اعْتَرَضْتَ فَأنْتَ مَوْتُورٌ ومَسْعُورٌ ومَأجُورٌ

ومِنْ أهْلِ الحَسَدْ ... !

وإذا شَكَوْتَ فَأنْتَ حَتْمًا كَارِهٌ هَذا البَلَدْ ... !

أو أنْتَ مَجْنُونٌ يُعَانِي مِنْ عُقَدْ ...

أنَا عَاطِلٌ مَا زِلْتُ أمْشِي فِي البَطَالَةِ دَرْبَ مِحْنَةْ ... !

رَقْمٌ صَغِيرٌ فِي المَلايِينِ التي تَحْيَا التَّعَطُّلَ سِجْنَ فِتْنَةْ ... !

عِبْءٌ عَلَى وَطَنِي ... /

عِبْءٌ عَلَى أهْلِي ... /

عِبْءٌ عَلَى ذَاتِي ... وأسْوَأُ مَا رَأتْ عَيْنَايَ مِنْ تَعَبِ المَعِيشَةِ

أنْ يُرِيحَ المَرْءُ ذِهْنَهْ ...

جِسْمِي سَلِيمٌ ...

لَيْسَ مَطْبُوعًا عَلَى حَرَكَاتِهِ آثَارُ مِهْنَةْ ... !

دَمْعِي يَبُوحُ ولا يَبُوحْ ...

والصَّمْتُ مَتْنُ العَجْزِ ...

تُعْجِزُهُ الشُّرُوحْ ...

إزْمِيلُ يَأسِي يُرْسِلُ الضَّرَبَاتِ يَهْدِمُ مَا بَنَيْتُ مِنَ الصُّرُوحْ ...

ضَرَبَاتُ ذا الإزْمِيلِ لَمْ تَقْتُلْ طُمُوحِي

إنَّمَا قَدْ غَيَّرَتْ نَوْعَ الطُّمُوحْ ... !

عَدَدُ الجُرُوحِ عَلى ذِرَاعِيَ ثَابِتٌ

وإذا تَأمَّلْتُ اكْتَشَفْتُ تَغَيُّرًا في عُمْقِ هَاتيكَ الجُرُوحْ ... !

حُرِّيَةُ الأوْطَانِ ، قَامُوسُ السِّيَاسَةِ ، مَجْلِسُ النُّوَّابِ ،

سِعْرُ الصَّرْفِ للدُّولارِ ، أمْنُ الدَّوْلَةِ القَوْمِيُّ ،

صَفْقَاتُ السِّلاحِ ، رُكُودُ سُوقِ المَالِ ، قَانُونُ الصَّحَافَةِ ،

لَجْنَةُ الأحْزَابِ ، تَغْيِيرُ الوِزَارَةِ ، مَعْرِضٌ للفَنِّ ...

لَيْسَ يَهُمُّنِي ... !

لا وَقْتَ للأفْكَارِ ...

للكَلِمَاتِ ...

للأنْغَامِ ...

للتَّنْظِيرِ ...

مُنْغَمِسًا بِبَحْثِي عَنْ مُذِلٍّ سَوْفَ يَقْبَلُنِي لأُسْبُوعٍ

يُمَارِسُ ذُلَّهُ بالرَّاتِبِ البَادي كَنُدْبَةِ خِنْجَرٍ

قَدْ جُدِّدَتْ في كُلِّ شَهْرٍ فَوْقَ وَجْهِي في وُضُوحْ ...

أنَا لاجِئٌ في مَوْطِنِي ...

ومُخَيَّمَاتِي تَمْلأُ الآفَاقَ ...

أسْكُنُهَا ... وتَسْكُنُنِي ...

أبيتُ عَلَى الجَوى مُسْتَعْمَرًا بِجُنُودِ الاسْتِقْلالِ

أبْحَثُ في دُرُوبِ الأرْضِ عَنْ دَرْبِ النُّزُوحْ ... !

* * *

أخْرَجْتُ مِنْ حَصَّالَتِي كُلَّ الذي مُنْذُ الطُّفُولَةِ

لانْقِلابَاتِ الزَّمَانِ ذَخَرْتُهُ خَوْفَ الزَّمَنْ ... !

عِيدِيَّةَ الأجْدَادِ ، جَائِزَةَ التَّفَوُّقِ ، إرْثَ أمِّي ،

بَدْلَتِي السَّوْدَاءَ للأفْرَاحِ أو للعِيدِ أو للمَوْتِ ،

مَصْرُوفًا إضَافِيًا لعُرْسِي

(أو لأجْلِ أبي إذا احْتَاجَ الدَّوَاءَ أو الكَفَنْ) ... !

وحُلِيُّ أخْتِي قَدْ تَسَرَّبَ جُلُّهُ ...

لَمْ يَبْقَ إلا قِطْعَةٌ أو قِطْعَتَانِ بِدُرْجِهَا لَمْ تُرْتَهَنْ ...

ومَوَارِدي أنْفَقْتُهَا في الأكْلِ - لا الدُّخَّانِ -

ثُمَّ قَدِ اسْتَدَنْتُ لدَفْعِ إيجَارِ السَّكَنْ ...

وخَسِرْتُ أصْحَابِي بُعَيْدَ نِقَاشِنَا في لَيْلَةٍ لَيْلاءَ ...

عَنْ حُبِّ الوَطَنْ ... !!!

* * *

عُمْـري فُصُـولٌ فـي جَحِـيمِ المَحْرَقَـــةْ

أو مَرْكَـــبٌ مَـــوْجُ المَظَـــالِمِ أغْرَقَـــهْ

هُـوَ مَنْطِـــقُ الأغْنَـى يُسَـيِّرُ أرْضَنَـــا

وأنَـا بعَقْلِـي لَسْـتُ أفْهَـمُ مَنْطِقَـــهْ !

صَـفَعَاتُ أرْضِـي فَـوْقَ وَجْـهِ مَطَامِحِـي

جَعَلَـتْ غَـرَامَ الأرْضِ مِثْـلَ الهَرْطَقَـةْ

صَـبُّوا طُمُـوحِي فـي رَغِيـفٍ أسْـوَدٍ

وأنَـا سَـجِينٌ فـي حُـدُودِ البَوْتَقَـةْ

شَـكِّي بكُـلِّ مَـوَاهِبِي مُـتَحَكِّمٌ

وعَلاقَتِـي بالنَّـفْسِ تَنْقُصُـهَا الثِّـقَةْ

قَـدْ كُنْـتُ فـي يَـوْمٍ أطِـيرُ مُحَلِّقًـا

واليَـوْمَ تَهْـوي فَـوْقَ رَأسِـي المِطْرَقَـةْ

فَمُنِحْـتُ مَنْـعَ الـرُّوحِ مِـنْ إشْـرَاقِهَا

وكَـذا طَلِيعَـةُ جِيلِنَـا المُتَـفَوِّقَةْ

عَـنْ فُرْصَـةِ العَمَـلِ انْبَـرَى مِـذْيَاعُنَا

يُهْـدي لَنَـا شَـمْسَ الصَّـبَاحِ المُشْـرِقَةْ

وَطَـنٌ بِـحَجْمِ الشَّـمْسِ يَبْـدُو وَاسِـعًا

وأمَـامَ أحْلامِـي تُـرَى مَـنْ ضَـيَّقَهْ ؟!

وَعَـدَتْ حُكُومَـاتِي .. وتُخْلِـفُ وَعْـدَهَا

كَعِصَـابَةٍ مَنَعَـتْ تَفَـتُّحَ زَنْبَقَـةْ

وأنَـــا فَرَاشَـــةُ مَـــوْطِنِي لَكِـــنَّهُمْ

حَظَـرُوا خُرُوجِـي مِـنْ خُيُـوطِ الشَّـرْنَقَةْ

وطَنِـــي هُمُـــومِي لَسْـــتُ أعْـــرِفُ غَيْـــرَهُ

أحْيَـــا بـــهِ وَحْـــدي بـــرُوحٍ مُزْهَقَـــةْ

هَيْهَـــاتَ أعْشَـــقُ مَـــوْطِنِي وذِرَاعُـــهُ

لَفَّـــتْ عَلَـــى الأحْـــلامِ حَبْـــلَ المِشْـــنَقَةْ !

* * *

أنَا عَاطِلٌ ...

لكِنَّنِي لي مِهْنَةٌ أتْقَنْتُهَا ...

هِيَ أنْ أجُوبَ الأرْضَ أبْحَثُ عَنْ عَمَلْ ...

وأعيشُ في جُبِّ البَطَالَةِ مُرْهَقًا

ومِنَ المَعَايِشِ مَا قَتَلْ ... !

تَعِبَ الحِذَاءُ مِنَ الحِجَارَةِ عَبْرَ دَرْبٍ

بَاتَ مُمْتَدًّا طَوِيلاً مثْلَ عُمْرٍ يَنْتَهِي في المُقْتَبَلْ ...

لي مِهْنَةٌ في كُلِّ أُسْبُوعٍ أُغَيِّرُهَا ...

تُغَيِّرُنِي ...

ولَكِنْ رَغْمَ تَغْيِيري المُكَرَّرِ

قَدْ سَئِمْتُ العُمْرَ مِنْ ضَغْطِ المَلَلْ ... !

أحْيَا عَلَى أمَلِ الوَظِيفَةِ يَائِسًا

ومِنَ الوَظَائِفِ مَا يَحُضُّ عَلَى الكَسَلْ ... !

لي مِهْنَةٌ مَا كُنْتُ أقْبَلُهَا إذا خُيِّرْتُ

لَـكِنِّي قَبِلْتُ تَدَهْوُري خَلْفَ المُسَمَّى بالطُّمُوحِ

ولَمْ أجِدْ مَا كَانَ يُعْرَفُ بالأمَلْ ... !

رُوحِي بِيَوْمٍ كَانَ فيهَا بَعْضُ أجْوبَةِ التَّسَاؤُلِ

بَعْضُ أشْعَارِ التَّفَاؤُلِ

لَـكِنِ اليَوْمَ اقْتَصَرْتُ عَلَى سُؤَالٍ وَاحِدٍ :

« أيْنَ الخَلَلْ ؟! »

ولَرُبَّ مُشْكِلَةٍ تَعِيشُ بأرْضِنَا حَتَّى نَمُوتَ ...

بِدُونِ حَلّْ ... !

ولَرُبَّ مُحْتَاجٍ تَعَفَّفَ عَنْ سُؤالِ النَّاسِ في زُهْدٍ

وطَمَّاعٍ سَألْ ... !

ولَرُبَّ شَعْبٍ يُنْتَعَلْ ... !

ولَرُبَّ جَيْشٍ يُسْتَغَلْ ... !

ولَرُبَّ جِيلٍ يُبْتَذَلْ ... !

ولَرُبَّ مَخْذُولٍ خَذَلْ ... !

ولَرُبَّ أصْنَامٍ لَهَا سَجَدَ العِبَادُ اليَوْمَ أسْوَأَ مِنْ « هُبَلْ » ... !

ولَرُبَّ قِصَّةِ صَامِدٍ لَـكِنْ بآخِرِهَا قَدِ انْتَحَرَ البَطَلْ ... !

ولَرُبَّ صَحْرَاءٍ قَسَتْ حَتَّى انْتَهَى صَبْرُ الجَمَلْ ... !

ولَرُبَّ رَكْبٍ قَدْ سَعَى نَحْوَ النُّجُومِ ومَا وَصَلْ ... !

ولَرُبَّ عُمْرٍ ضَاعَ في تِلْكَ المَعَاهِدِ والمَدَارسِ

كَانَ آخِرُهُ الفشَلْ ... !

* * *

هَمِّـــي يَفُـــوقُ تَمَـــرُّدَ الهِمَـــمِ

وتَـــوَجُّعِي أقْـــوى مِـــنَ الكَـــلِمِ

لا يَـأسَ قيـلَ مَـعَ الحيَـاةِ فَهَـلْ تُـرَى
قَـدْ عَـاشَ مَـنْ قَـدْ قَالَهَـا ألَمِـي ؟

صَـخَبُ الهُمُـومِ يَهُـزُّ هَـدْأَةَ أحْرُفِـي
وسِـوَايَ يَحْيَـا صَـاخِبَ النَّـغَمِ

يَـا مَـوْطِنِي .. وقَـدِ احْتَرَقْتُ بِـصَرْخَتِي
وتُشِـيحُ عَنِّـي زَاعِـمَ الصَّـمَمِ

لَـو أنَّنِـي قَصَّـرْتُ عَبْـرَ مَسِـيرَتِي
لَرَضِـيتُ مِـنْ دُنْيَـايَ بالعَـدَمِ

لكَنَّنِـي ذَاكَـرْتُ عَبْـرَ تَعَلُّمِـي
لأعِـيشَ بَعْـدَ الجِـدِّ فِـي النَّـدَمِ

نَسْـرُ الهُمُـومِ يَصِـيدُ كُـلَّ مَطَـامِحِي
وأنَـا جَـنِينٌ خَـارِجَ الـرَّحِمِ

النَّسْـرُ يَـأكُلُنِي وإنِّـي سَـائِلٌ
مَـاذا يُحَرِّكُـهُ مِـنَ الـنِّقَمِ ؟!

النَّسْـرُ يَـأكُلُنِي .. وإنِّـي بَـاذِلٌ
لَحْمِـي لَـهُ فِـي غَايَـةِ الكَـرَمِ

أنَـا لَـنْ أُقَاوِمَـهُ .. فَكَـمْ شَـاهَدْتُهُ
مُنْـذُ الطُّفُولَـةِ سَـاكِنًا عَلَمِـي !

القَـاهِـرَة

بدأت كتابتها	مايو 2007م
وانتهت في	2007/7/9م
3.00	صباحًا

دَرَجَـاتُ زُرْقَـةْ !

رَكِّزْ عَلَى وَجْهِ التَّشَابُهِ بَيْنَ هَاتِيكَ العُيُونِ

ورَغْبَةِ الشِّعْرِ النَّقِيِّ فَكُلُّهَا دَرَجَاتُ زُرْقَةْ !

لاحِظْ غُرُوبَ الشَّمْسِ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ

ودَمْعَةَ اللَّيْثِ السَّجِينِ فَكُلُّهَا أنْوَاعُ حُرْقَةْ ... !

رَاقِبْ لِقَاءَ المَوْجِ مَعْ شُطْآنِنَا

وكِبَارَنَا بصِغَارِنَا

والغِمْدَ بالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

فَكُلُّهَا أعْرَاضُ فُرْقَةْ !

حَدِّقْ بِتِلْفَازِ الحُكُومَةِ أوْ قَرَارَاتِ الإحَالَةِ

أو خَنَازِيرِ الحِرَاسَةِ فِي المَوَاكِبِ

أو صَنَادِيقِ اللِّجَانِ فَكُلُّهَا أشْكَالُ سِرْقَةْ !

رَكِّزْ عَلَى وَجْهِ التَّشَابُهِ بَيْنَ مَنْ فِي كَفِّهِ

سَوْطٌ ومَنْ عَيْنَاهُ قَدْ عُصِبَتْ ...

سَتَلْقَى اثْنَيْهِمَا ...

يَفْنَى بِطَلْقَةْ !!!

القَـاهِـرَة 2006/6/15م
1.00 صباحًا

كَثيرٌ عَلَيْكُمْ ... !

فَريقَانِ يَخْتَصِمَانْ ...

وبَيْنَهُمَا شَاعِرٌ حينَ يَهْجُو سَتُفْضَحُ طَائفَتَانْ ...

وحَوْلَ الجَميعِ بَدا أُفْعُوانْ ...

أقَاوِمُ فَكًّا لذا الأُفعُوانِ وَحيدًا

فَتَلعَنُني جَبْهَتَانْ ...

ويَنْسَى الفَريقَانِ أنَّ قريضِي صِمَامُ الأمَانْ ... !

* * *

أرى مِنْجَنيقًا يُكَشِّرُ في وَجْهِ تِلكَ المَدينَةْ ...

أرى ألفَ خَرْقٍ بِجِسْمِ السَّفينَةْ ...

أرى ألفَ ألفِ دَعِيٍّ يَبُثُّ الضَّغينَةْ ...

أرى مُرْجِفًا يَسْتَحِثُّ خُطَاهُ لقَتْلي

وإبليسُ صَارَ قَرينَهْ ...

أرى ألفَ ألفِ اتِّهَامٍ بِدونِ قرينَةْ ...

أرى في الظَّلامِ التِمَاعَ الخَنَاجِرِ يَزْحَفُ نَحْوي

(لأنِّي عَلَى عِزَّتي ثَابِتٌ)

وغَيْري يُبَدِّلُ وَفْقَ المَصَالحِ دينَهْ ...

أرى الحُزْنَ فَوْقَ قِبَابِ المَرَاقِدِ في « كَرْبِلاءِ »

كَمَا قَدْ رَأَيْتُ مَآذِنَ مَسْجِدِ عَمْرٍو حَزينَةْ ... !

* * *

خَيَالُ القَصيدَةِ يَا مَنْ تُعَادونَ شِعْري يَذُوبُ حَزينَا ...

يَكَادُ خَيَالُ القَصيدَةِ يَلطُمُ

لَكِنْ يَخَافُ اتِّهَامًا سَخِيفًا مِنَ الحَاقدينَا ... !

خَيَالُ القَصيدَةِ يَحْتَارُ أيَّ الفَريقَيْنِ يَهْجُو ... ؟؟؟

وفينَا مِنَ الخِزْيِ مَا هُوَ فيكُمْ

وفيكُمْ مِنَ الخِزْيِ مَا هُوَ فينَا ... !

ويَبْدو كِلانَا بعَيْنِ المُعَادينَ صَيْدًا سَمِينَا ...

فَصَبْرًا جَميلا ...

فَأَنْتُمْ بنَا - وبكُمْ - قَدْ بُليتُمْ

ونَحْنُ بِكُمْ - وبِنَا - قَدْ بُلينَا ... !

فَلَعْنَةُ رَبِّي عَلَيْنَا إذَنْ أجْمَعِينَا ... !

* * *

أرَانَا شُغِلنَا بِفِقْهِ العَفَنْ ...

بُحَيْرَةُ أفْكَارِنَا في عَطَنْ ...

أرى طَائِرَاتِ العَدُوِّ تُحلِّقُ فَوْقَ رُبُوعِ الوَطَنْ ...

حُمُولَتُهَا جَهَّزَتْ ألفَ ألفِ كَفَنْ ...

ويَشْغَلُهُمْ كُلَّ وَقْتٍ حَديثُ التَجَارِبِ والعِلمِ

لَكِنْ أرَانَا شُغِلنَا بِبَثِّ حَدِيثِ الفِتَنْ ...

سَتَسْقُطُ تِلكَ القَنَابِلُ فَوْقَ الجَميعِ

على الحَقْلِ والبَادِيَةْ ...

قَنَابِلُ أعْدَائِنَا لا تُفَرِّقُ بَيْنَ المَذاهِبِ

فَالكُلُّ في دَاهِيَةْ ...

وُجُوهُ العَدُوِّ بِفُرْقَتِنَا رَاضِيَةْ ...

وأجْهِزَةٌ للتَّخَابُرِ تَسْكُنُ في « حَوْزَةِ » العِلْمِ

تَسْكُنُ صَحْنَ المَسَاجِدِ

تَدْفَعُ للهَاوِيَةْ ... !

قَنَابلُهُمْ سَوْفَ تَسْفَعُ بالنَّاصِيَةْ ...

تَمُوتُ بها فِرَقُ الكُفْرِ

والفِرْقَةُ النَّاجِيَةْ ... !

يُذِلُّ العَدُوُّ الجَميعَ ونَدَّخِرُ الكِبْرَ

كَيْ نَتَكَبَّرَ في وَجْهِ إخْوَانِنَا

ورَبِّي لَهُ الكِبْرِيَاءُ

كَمَا قَالَ في سُورَةِ الجَاثِيَةْ ... !

* * *

ولَسْتُ أُحَوِّلُ شِعْري لِدُفٍّ ...

ولَسْتُ لآمُرَ نِصْفي لِيَقْتُلَ نِصْفِي ... !

ولَسْتُ خِصِيًّا

لأعْجَزَ عَنْ رَدِّ مَنْ قَدْ يُحَاوِلُ بالزُّورِ قَذْفي ...

عَلى أُهْبَةِ الجَهْرِ حَرْفي ...

سَأخْتَارُ أشْنُقُ نَفْسِي

ولَسْتُ لأجْدَعَ أنْفِي ...

ولَسْتُ بِمُتَّهَمٍ بالمُرُوقِ لأنْفِي ... !

ولَسْتُ أخَافُ أُوَاجِهُ في الحَقِّ

سَيْفَ الغَريبِ

وسَيْفَ القَريبِ

ولَسْتُ أخَافُ أُوَاجِهُ في الحَقِّ حَتْفِي ...

أرَى مُهْجَتي نَحْوَ بَيْتٍ حَرَامٍ تَطيرُ كَلَحْنٍ

ولَسْتُ لأُوقِفَ عَزْفي ...

ولَمْ أكُ يَوْمًا (فُؤادي مَعَ الحَقِّ

لَكِنْ عَلَى الحَقِّ سَيْفِي) ... !

ولَسْتُ أرى بَيْنَكُمْ « ذا الفقَارِ »

ولَيْسَ « يَزيدُ » بِصَفِّي ... !

* * *

أنَا شَاعِرٌ مَا اعْتَذَرْ ...

أُجَاهِدُ قَدْرَ اسْتِطَاعَةِ شِعْري

وأرْضَى بِحُكْمِ القَدَرْ ...

تُصَوَّبُ نَحْوي السِّهَامُ مِنَ الجَبْهَتَيْنِ

كَأنَّ السِّهَامَ مَطَرْ ...

أصُدُّ السِّهَامَ مِنَ الجَبْهَتَيْنِ وأكْتُبُ شِعْرَ الظَّفَرْ ...

وفي الفَمِ مَاءٌ ...

سَأبْصُقُهُ نَحْوَ كُلِّ الجِهَاتِ

فَيَلعَنُني لاعِنُونَ

ويَغْفِرُ لي مِنْ غَفَرْ ... !

أيَا سَادَتي ...

بَعْضَ حِلْمٍ ...

فَجُلُّ عَمَائِمِكُمْ قَدْ تَبَرّأَ مِنْهَا « عَلِيٌّ »

وجُلُّ عَمَائِمِنَا قَدْ تَبَرّأَ مِنْهَا « عُمَرْ » ... !!!

* * *

ولَو كُنْتُ مُنْتَظِرًا للإمَامِ كَغَيْري

لَمَا صُغْتُ شِعْرَ الهجَاءِ ... !

ولَو كُنْتُ أعْبُدُ رَبِّي بِبِرْميلِ نِفْطٍ

لأتْقَنْتُ شِعْرَ المَديحِ مَعَ الأدْعِيَاءِ ... !

ولَو كُنْتُ أُسْلِمُ أمْري لأمْرِ وَلِيٍّ فَقيهٍ

لَجَاهَرْتُ صُبْحًا لَهُ بالوَلاءِ ... !

ولَو كُنْتُ بَدَّلْتُ مَا أرْضَعَتْنيهِ أُمِّي

لأعْلَنْتُ جَهْرًا بَرَائي ... !

أنَا شَاعِرُ الكُلِّ أُؤمِنُ بالشِّعْرِ رَغْمَ ابتلائي ...

تَشَيَّعْتُ للحَقِّ ...

لا للمَذاهِبِ فَهْيَ أسَاسُ البَلاءِ ...

أنَا شَاعِرٌ للجَميعِ

ولَسْتُ أُشَارِكُ - مِثْلَ الجَميعِ - بمَعْرَكَةٍ للفنَاءِ ...

تَحَيَّزْتُ للحَقِّ لا الأصْدقَاءِ ولا الأقْربَاءِ ...

أُصيبُ وأُخْطِئُ مثْلَ الجَميعِ

فَلَسْتُ مِنَ الأنْبياءِ ... !

أحِنُّ عَلَى البُسَطَاءِ ...

وأوغِلُ فـي العُمَلاءِ ...

عَنيدٌ أمَامَ العَنيدِ

رَقيقٌ مَعَ الضُّعَفَاءِ ...

كَريمٌ مَعَ الكُرَمَاءِ ...

صَفيقٌ مَعَ السُّفَهَاءِ ...

قَويٌّ أمَامَ الطُّغَاةِ

ضَعيفٌ أمَامَ النِّسَاءِ ... !

أشِفُّ إذا مَا تَغَزَّلْتُ يومًا

وأفْحُشُ عِنْدَ الهِجَاءِ ...

بيُسْرَايَ كَفْكَفْتُ دَمْعَ الفَقيرِ

ويُمْنَايَ تَطْعَنُ فـي الرُّؤَسَاءِ ...

أُحِبُّ أبَا بَكْرِ

لَكِنْ تَوَجَّعْتُ مِنْ حَالِ قومي

فَأجْهَرُ بالوَجَعِ الكَرْبِلائي ... !

وأمنَحُ شِعْري لأرْضِيَ طَاقَةَ وَرْدٍ

(بلا أيِّ سِعْرٍ)

وأعْجَزَ ألفَ رَئيسٍ شِرَائي ...

فَيَا مُغْرَمينَ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ بِحُجَّةِ حَقْنِ الدِّمَاءِ ...

ويَا مَنْ تَحُطُّونَ مِنْ قَدْرِ شِعْري

حَذارِ حَذارِ مِنَ الشُّعَرَاءِ ...

ويَا مَنْ حَلَمْتُمْ بأنَّكُمُ قَدْ تَمَسُّونَ عِرْضِي ...

صِغَارًا أرَاكُمْ حذائي ...

لذاكَ ...

كَثيرٌ عَلَيْكُمْ حِذائي ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة
6.30

2008/10/6م
صباحًا

ولقَـدْ أرَاني ...

ولَقَدْ أراني جَالسًا فـي أرْبَعِينِ صَديقَةٍ

فـي (حَوْشِ) مَقْبَرَةٍ تَرَاءَتْ مِثْلَ سِدْرَةِ مُنْتَهى الأحْزَانِ

والزُّوَّارُ يَسْتَمِعُونَ للقُرْآنِ

تَبْكيهِ العَصَافيرُ ابْتِهَالاً

ثُمَّ زَقْزَقَةً تَرَاقَصَ شَدْوُهَا تَرْتيلا ...

* * *

ولَقَدْ أراني رَاقصًا فـي عُرْسِ مَنْ أحْبَبْتُهَا

وجِوَارُهَا زَوْجٌ قَبيحٌ

وهْيَ تَهْمِسُ بالغَرَامِ الكِذْبِ فـي أُذُنَيْهِ

ثُمَّ تَبُثُّ بالعَيْنَيْنِ صِدْقَ غَرَامِها نَحْوي

وتَسْتَدْعِي الخِيانَةَ مِثْلَ مِزْمَارٍ يُحَرِّكُ رَقْصَةَ الأفْعَى

وإنِّي لَمْ أزَلْ مُتَرَاقِصًا فـي عُرْسِهَا

وأُجيبُ دَاعيَ حُبِّهَا تَعْليلا ... !

* * *

ولَقَدْ أراني سَابحًا فـي عَيْنِ مَاءٍ

لَمْ تَزَلْ تَرْوي جُذُورَ النَّخْلِ فـي صَحْرَاءِ صَمْتٍ قَاحِلٍ

والشَّمْسُ تَنْتَحِلُ الكَلامَ حَرَارَةً

فَتُثِيرُ أسْئِلَةَ السُّكُوتِ

فَتُرْسِلُ العَيْنُ الإجَابَةَ فـي السُّكُونِ نَخيلا ... !

* * *

ولَقَدْ أراني سَاجِدًا فـي مَعْبَدٍ يَزْهُو بأصْنَامٍ

ويَسْجُدُ نَحْوَهَا جَمْعٌ يُقَدِّسُهَا

وإنِّي سَاجِدٌ للّهِ

(كُنْتُ أظُنُّني وَحْدي لرَبِّي سَاجِدًا)

ثُمَّ اكْتَشَفْتُ يَقِينَ أنَّ الجَمْعَ كُلَّ الجَمْعِ يَكْتُمُ كُفْرَهُ

بِقَدَاسَةِ الأصْنَامِ

فَاسْتَجْمَعَتُ عَزْمِي

ثُمَّ أعْلَنْتُ الحَقِيقَةَ

والجُمُوعُ تُزيحُ خَلفي صَمْتَهَا تَهْليلا ... !

* * *

ولَقَدْ أراني زَاحِفًا في خَنْدَقِ الأعْدَاءِ

لا أدري يَرَاني الرَّاصِدُونَ ؟

أمِ السَّوَادُ أضَلَّهُمْ عَنْ رُؤْيَتي ؟

وأُتَابِعُ الزَّحْفَ ...

الصُّخُورُ تَحُزُّ في لَحْمي

وأكْتُمُ صَرْخَةً حُبِسَتْ بقَلبي في الظَّلامِ طَويلا ...

* * *

ولَقَدْ أراني رَاكِضًا خَلْفَ ابْتِكَاراتٍ

تُسَجَّلُ في فُنُونِ القَوْلِ باسْمي ...

لا يُصَنِّفُهَا حُوَاةُ النَّقْدِ أضْغَاثَ اقْتِبَاسَاتٍ مِنَ المَاضي

ولا يُلْقي بِهَا القُرَّاءُ خَلْفَ قُلُوبِهِمْ

كَجَرِيدَةٍ رَسْمِيَّةٍ لا تَسْتَطِيعُ إلى العُقُولِ سَبيلا ... !

* * *

ولَقَدْ أراني عَازِفًا حُزْني عَلَى وَتَرٍ وَحيدٍ في الكَمَانِ

بقَوْسِ حُبٍّ تَسْتَقِيمُ لُحُونُهُ

رَغْمَ المَتَاهَاتِ التي تُغْوي مَقَامَ (صَبَا) بفَرْحٍ طَارئٍ

واللَّحْنُ يُرْسِلُ حُزْنَهُ عَبْرَ السُّكُونِ عَويلا ...

* * *

ولَقَدْ أراني رَاكِبًا مِنْ فَوْقِ صَهْوَةِ مُهْرَةٍ

مِنْ دُونِ سَرْجٍ أو لِجَامٍ

فَوْقَ عُشْبٍ يَفْرشُ اللَّوْنَ اخْضِرَارًا

يَهْزِمُ الصَّحْرَاءَ

والرِّيحُ ارْتَدَتْني مِشْبَكًا في شَعْرِها

والمُهْرُ يَهْزَأُ بالقُيُودِ صَهِيلا ...

* * *

ولَقَدْ أراني شَاهِرًا سَيْفي

على جَيْشٍ تَحَصَّنَ بالدُّرُوعِ

ولَمْ يَزَلْ سَيْفي المُسَدَّدُ للدُّرُوعِ عَليلا ... !

* * *

ولَقَدْ أراني زَارِعًا صَوْتي عَلَى أُفُقٍ مِنَ الصَّمْتِ الرَّهِيبِ

وبِذْرَةُ الصَّوْتِ ارْتَوَتْ

بِسَحَابَةٍ قَدْ أمْطَرَتْ مِنْ كُلِّ حَرْفٍ صَارِخٍ بالحَقِّ

حَتَّى أثْمَرَتْ مِنْهَا السَّنَابِلُ

كَيْ تَكُونَ عَلَى الطَّريقِ إلى الحَيَاةِ دَليلا ...

* * *

ولَقَدْ أراني مُبْحِرًا في زَوْرَقٍ

مِنْ دُونِ مِجْدَافٍ يُحَرِّكُ رَغْبَتي في النَّهْرِ

لكِنْ دَفَّتي وَجَّهْتُها نَحْوَ الخُلُودِ

و لَسْتُ أرْضَى بالخُلُودِ بَدِيلا ... !

* * *

ولَقَدْ أراني دَائِمًا ...

مُتَحَرِّكًا ...

لا ثَابِتًا ...

مُسْتَنْفَرًا ...

لا خَامِلاً ...

حَدْسِي يُصيبُ ولا يَخيبُ ...

ورَغبَتي في السَّعْيِ نَحْوَ النُّورِ

أشْعَلَتِ الحُروفَ بدَاخلي قِنْديلا ...

تَمَّتْ في القَاهِرَة
6.00

2007/12/24م
صباحًا

قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ (*)

(*) رثاء الراحل العظيم « د. عبد الوهاب المسيري » .

قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ ...

رِثَــاءْ ...

وفكْرَةُ شِعْرِ الرِّثَاءِ تَقُومُ عَلَى أنَّ مَوْتَ الأحِبَّةِ يَعْني الفنَاءْ ... !

فَيُصْبِحُ شِعْرُ الرِّثَاءِ مُجَامَلَةً للذينَ مَضَوا

أو مُحَاوَلَةً لامْتِدَادِ البَقَاءْ ...

وشِعْرُ الرِّثَاءِ اتِّفَاقٌ قَديمٌ - تَوَرَّطَ فيهِ الجَميعُ -

فَتَبْذُلُ فيهِ القَوافي الدُّمُوعَ لكَيْ تَسْتَدِرَّ البُكَاءْ ...

كَأنَّ جَميعَ البُكَاءِ وَفَاءْ ... !

وشِعْرُ الرِّثَاءِ يُهَاجِمُ مَنْ لَمْ يَمُوتُوا (إلى أنْ يَمُوتُوا)

ويَمْدَحُ مَوْتَ الذينَ مَضَوْا

ثُمَّ يَرْفَعُ بَعْضَ الدُّعَاءْ ...

كَأنَّ جَميعَ الدُّعَاءِ يُلاقي قَبُولَ السَّمَاءْ ... !

وشِعْرُ الرِّثَاءِ دُمُوعٌ تُعَزِّي الأحِبَّةَ

كَيْ يَسْتَكِينوا لحُكْمِ القَضَاءْ ...

كَأنَّ جَميعَ الدُّمُوعِ عَزاءْ ... !

قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ ...

رِثَـاءْ ...

وفيهَا مِنَ الشِّعْرِ أكْثَرُ مِمَّا أُريدُ وأكْثَرُ مِمَّا أشَاءْ ...

قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ ...

رِثَـاءْ ...

ولَيْسَتْ كَكُلِّ الرِّثَاءْ ... !

* * *

* مَـــديـــحٌ

مَدِيحُكَ عِبْءٌ عَلَى المَادِحِينَ

لأنَّ المَدِيحَ تَلَوَّثَ عَبْرَ السِّنِينَ بكُلِّ خَطَايَا الوُلاةِ

وكُلِّ ذُنُوبِ الدَّرَاهِمِ عَبْرَ زَمَانِ القَصِيدِ الجَرِيحْ ...

أرَى الشُّعَرَاءَ تُبَالِغُ حِينًا

وتَكذِبُ حِينًا

وتَصْدُقُ في وَاحِدٍ مِنْ أُلُوفِ بُيُوتِ المَدِيحْ ...

مَدِيحُكَ عِبْءٌ عَلَى المَادِحِينَ

لأنَّ القَصِيدَةَ قَدْ تَشْرَئِبُّ لِتُدْرِكَ أكْثَرَ مِمَّا تَرى العَيْنُ

لَكِنْ مَديحُكَ مَهْمَا تَضَخَّمَ سَوْفَ يَظَلُّ كَوَصْفٍ ضَئِيلٍ

إذا قَارَنُوهُ بِمَا شَاهَدُوهُ

فَيُمْسِي مَدِيحُكَ مِثْلَ مُقَارَنَةٍ بَيْنَ شَخْصٍ صَحِيحٍ

وشَخْصٍ كَسِيحْ ...

مَدِيحُكَ عِبْءٌ عَلَى المَادِحِينَ

فَلَيْسَ بِهِ مِنْ جَدِيدٍ ...

مَدِيحُكَ يَمْنَحُ فَضْلَكَ بَعْضَ المَجَازِ

وأنْتَ الفَضِيلَةُ حِينَ تَلُوحُ بِشَكْلٍ صَرِيحْ ...

مَدِيحُكَ عِبْءٌ عَلَى المَادِحِينَ

لأنَّ البَلاغَةَ تُلْقِي عَصَاهَا أمَامَ الجُمُوعِ

فَيَحْسَبُهَا النَّاسُ تَسْعَى

ولَكِنْ صِفَاتُكَ تَلْقَفُ مَا قَدْ أفَكْنَا

كَرِيشَةِ وَهْمٍ تُوَاجِهُ هَبَّةَ رِيحْ ... !

مَدِيحُكَ عِبْءٌ عَلَى المَادِحِينَ

لأنَّ المَدِيحَ افْتِعَالُ الفَضَائِلِ لا فِعْلُهَا

فَمَدْحُكَ قَوْلٌ رَكِيكٌ وأنْتَ المَقَالُ الفَصِيحْ ...

مَدِيحُكَ عِبْءٌ عَلَى المَادِحِينَ

لأنَّ مَدِيحَكَ هَجْوٌ لِكُلِّ الذينَ ارْتَضَوا نِصْفَ حُرِّيَّةٍ

أو كَمَالَ السُّجُودِ

(ولَيْسَ المَقَامُ مَقَامَ الهِجَاءِ)

لذلِكَ بَعْضُ المَدِيحِ يُرِيحُ

فَمَدْحُ الضِّيَاءِ الجَمِيلِ

هِجَاءُ الظَّلامِ القَبِيحْ ...

مَدِيحُكَ عِبْءٌ عَلَى المَادِحِينَ

ولَكِنْ سَأمْدَحُ كَيْ أسْتَرِيحْ ... !

رَأَيْنَاكَ نَحْوَ الشَّمْسِ فِي اللَيْلِ سَاعِيا

تُعَانِدُكَ الدُّنْيَا ومَا زِلْتَ مَاضِيا

كَأَنَّكَ سُحْبُ العَدْلِ فَوْقَ بِلادِنَا

فَتَعْطَشُ غيطَانٌ وكَمْ كُنْتَ سَاقيا

حَفَرْتَ بهَذي الأرضِ مَجْرى تَحَرُّرٍ

ونَهْرُ زُحُوفِ الخَيْرِ يَهْدِرُ جَاريا

فَتَرْسُمُ بِالأقْوَالِ خُلْدًا مُحَقَّقًا

وتَمْنَحُ بالأفْعَالِ فَجْرًا مُوَاتِيا

وتَرْفُلُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الحَقِّ سَابِغٍ

وغَيْرُكَ يَبْدو بالرِّيَاسَةِ عَاريا

ويُهْجَى بِكَ الأعْدَاءُ رَغْمَ جُيُوشِهِمْ

ولَمْ تَكُ فِي يَوْمٍ مِنَ الدَّهْرِ هَاجيا

وتَقْضِي بإعْدَامِ الخَفَافيشِ جَهْرَةً

وحُكْمُكَ مَمْهُورٌ ... ولَمْ تَكُ قَاضيا !

وتَحْسَبُكَ الأجْنَادُ تَخْشَى سِلاحَهَا

وتُبْصِرُكَ الأحْبَابُ كَالدِّرْعِ وَاقيا

فَتَحْسَبُكَ الأعْدَاءُ بالبُغْضِ قَاصِيًا

وتَنْظُرُكَ الأحْبَابُ بالحُبِّ دَانِيا !

تُحِيطُ بِكَ الأحْبَابُ تَحْميكَ مِنْ رَدًى

ومَا زِلْتَ للأحْبَابِ بالحَقِّ حَامِيا

فَتَظْهَـــرُ فـــي فِعْـــلِ الشَّـــجَاعَةِ آمِـــرًا

وتَظْهَـــرُ فـــي فِعْـــلِ التَّرَاجُـــعِ نَاهِيـــا

رَحَلْـــتَ ولَـــمْ تَتْـــرُكْ فَضِـــيلَةَ فَـــارسٍ

كَـأنَّ جِهَـادَ الحِبْـرِ مَـا كَـانَ كَافيـا

رَحيلُـــكَ لا يُعْطِـــي الطُّغَـــاةَ سَـــكِينَةً

فَمِنْـــكَ غَـــدا شَـــعْبُ الكِنَانَـــةِ وَاعيـــا

* * *

* فُكَـاهَـة

بِرَبِّكَ كَيْفَ تَكُونُ الحَياةُ كَسِلْسِلَةٍ مِنْ نِكَاتٍ

تُمَارِسُ فيهَا الكِفَاحَ ولا تَسْتَكِينْ ؟!

تُوَاصِلُ مَعْرَكَةَ الحَقِّ عَبْرَ السِّنِينْ ...

وتَضْحَكُ والسَّرَطَانُ يُقَطِّبُ مِنْكَ الجَبِينْ ... !

تَزيدُ عَلَيْكَ الهُمُومُ وأنْتَ تُواصِلُ دَكَّ حُصُونِ التَجَهُّمِ مِنْ

خَنْدَقِ الضَّاحِكِينْ ... !

أُحِسُّ بأنَّ رَحِيلَكَ سُخْرِيَةٌ

نُكْتَةٌ

مَقْلَبٌ

صُغْتَهُ كَيْ تُرَوِّحَ عَنَّا بِهَذا الزَّمَانِ الحَزِينْ ...

أُحِسُّ بأنَّكَ سَوْفَ تُفَاجِئُنَا عَابِرًا بَابَ قَاعَةِ تَأبِينِنَا

ثُمَّ تَضْحَكُ مِنَّا تَقُولُ :

« ضَحِكْتُ عَلَيْكُمْ

سَأبْقَى كَأنِّي رَئِيسٌ لَعِينْ ... » !!!

إذا كَانَ هَذا مِزَاحًا

فَيَكْفي ...

ووَعْدًا بأنَّا سَنَضْحَكُ إنْ عُدْتَ

فَارْجِعْ لَنَا الآنَ يَا سَيِّدَ السَّاخِرِينْ ... !

* * *

يُغَرِّدُ مِثْلَ اليَقينِ يُشَكِّكُ في شَكِّنا ...

يُغَرِّدُ رَغْمَ نَقيقِ الضَّفَادِعِ يَعْلُو بكُلِّ الإذاعَاتِ

مِدْفَعَ قُبْحٍ يُصِرُّ عَلَى دَكِّنا ... !

يُغَرِّدُ بُلبُلَ حَقٍّ وحُسْنٍ

فَيَغْسِلُ وَجْهَ الصَّبيحَةِ مِنْ فَوقِ شُبَّاكِنَا ...

ويَبْقَى كَبيرُ الضَّفَادِعِ يُقْسِمُ أنَّ البَلابِلَ

رِجْسٌ يَتُوقُ لإهْلاكِنَا ...

رُوَيْدَكَ يَا مُلْهِمَ اليَائِسِينَ التَّفَاؤُلَ

كَيْفَ زَرَعْتَ التَّفَكُّرَ في ضِحْكِنا ... ؟

وكَيْفَ دَفَعْتَ الضِّيَاءَ لأفْلاكِنَا ... ؟

وكَيْفَ رَفَعْتَ الإرَادَةَ مِنْ دَرْكِنَا ... ؟

وكَيْفَ رَسَمْتَ تَحَرُّرَنَا في خَريطَةِ إدْرَاكِنا ... ؟

بِفَضْلِكَ صَارَ الشُّرُوقُ بِرَغْمِ تَسَلُّطِ إظْلامِنَا مُمْكِنا ... !

كَأنَّكَ جَدٌّ وأحْفَادُهُ حَوْلَهُ يَسْمَعُونَ حِكَايَةْ ...

نَرى كُلَّ جَدٍّ يَقُصُّ الأقَاصِيصَ

كَيْما يَنَامَ الصِّغَارُ قُبَيْلَ النِّهَايَةْ ...

وأنْتَ تَقُصُّ عَلَيْنَا الحِكَايَةَ مَوْسُوعَةً كَيْ نُفِيقَ

وتَغْزِلَ مِنَّا البِدَايةْ ...

فَتَحْكِي ...

وتَحْكِي ...

وتَحْكِي ...

كَأنَّكَ شَيْخٌ يُوَضِّحُ إعْجَازَ آيَةْ ...

ويَهْتِفُ كُلُّ صِغَارِكَ في آخِرِ الحَكْيِ

فَوْقَ السَّلالِمِ أو في المَيَادينِ

دَوْمًا ...

(كِفَايَةْ) ... !

تَنَقَّلْتَ بَيْنَ دُرُوبِ الحَقيقَةِ

مِثْلَ الفَرَاشَةِ فَوْقَ زُهُورِ الحَدِيقَةِ

حَتَّى غَدَوْتَ لكُلِّ التَّلاميذِ شَيْخَ الطَّرِيقَةِ

والنَّارُ تَأكُلُ حَقْلَ الوَطَنْ ... !

ويَخْشَاكَ سَاكِنُ قَصْرِ التَّيَاسَةِ

يَخْشَاكَ أذْنَابُ بَهْوِ الرِّيَاسَةِ

يَهْوَاكَ شَعْبٌ تَعَذَّبَ في رُدُهَاتِ السِّيَاسَةِ

حَتَّى رَأيْنَاكَ فَرْدًا بِحَجْمِ الزَّمَنْ ...

رَدِيفُكَ فَوْقَ حِصَانِ المَعَالي « هُدى » ... /

وضِحْكُكَ مِنْقَارُ حُبٍّ

يُعِيدُ التِقَاطَ السُّرُورِ مِنَ الحُزْنِ عَبْرَ المَدَى ... /

تَآمَرَ حُزْنُ السِّنِينَ عَلَى النَّاسِ

ثُمَّ أتَيْتَ فَضَاعَ تَآمُرُ كُلِّ الدُّمُوعِ سُدى ... /

تَسِيرُ ارْتِجَالاً

ولَسْتَ بِمُخْلِفِنَا مَوْعِدا ...

كَبُرْتَ أمَامَ العَدُوِّ

كَبُرْتَ أمَامَ الصَّديقِ

كَبُرْتَ أمَامَ الخُصُومِ

كَبُرْتَ أمَامَ النَّصيرِ

وحينَ رَحَلْتَ

رَأيْنَا سَمَاءَ المَدِينَةِ أصْغَرَ مِنْ أنْ تَكُونَ الكَفَنْ ... !

* * *

* حُـــــزن

أنَا لَسْتُ أزْعُمُ أنَّ حَرَارَةَ دَمْعِي تَزيدُ

عَلَى أيِّ فَرْدٍ بَسِيطٍ مِنَ العَاشِقِينْ ...

ولَيْسَتْ قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءِ دَليلاً عَلَى الحُزْنِ

فالحُزْنُ - كَالحُبِّ والكُرْهِ - سِرٌّ دَفِينْ ...

ورُبَّ حَزينٍ تَرَاهُ يُصَنَّفُ في الضَّاحِكينْ ...

ورُبَّ ضَحُوكٍ بقَلْبٍ حَزينْ ...

سَأُغْلِقُ بَابَ مَزَادِ الدُّمُوعِ بِرَغْمِ تَذَمُّرِ بَعْضٍ مِنَ السَّامِعِينْ ... !

دَوَافِعُنَـــا للحُـــــزْنِ تُلْهِمُنَـــا الصَّـــبْرَا

كَسَيْلٍ بـأرْضِ الصَّـخْرِ خَـطَّ لَـهُ مَجْـرى

دَوَافِعُنَـــا للحُـــــزْنِ تَكْتُـــبُ شِـــعْرَهَا

كَـــأنَّ دُمُـــوعَ الـــدَّارِفِينَ غَـــدَتْ حِبْـــرا

تُلاعِبُنَـــا الأشْـــوَاقُ مِثـــْلَ قَصِـــيدَةٍ

تَحُـطُّ عَلَـى سَـطْرٍ وقَـدْ تَرَكَـتْ سَـطْرا

فَـــوَاللهِ ... لَـــوْلا اللهُ يَعْصِـــمُ زَلَّتِـــي

لَقُلْـــتُ لِعِزْرَائِيـــلَ أنْ يَمِّـــمِ القَصْـــرا !!!

ووَاللهِ لَـــوْلا الصَّـــبْرُ عِنْـــدَ مُصِـــيبَتي

لَكُنْتُ كَمَا الخَنْسَاءِ حِينَ رَثَتْ صَخْرا !

* * *

قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ ...

رِثَـــاءْ ...

وبَعْضُ الرِّثَاءِ دُعَاءْ ...

وبَعْضُ الرِّثَاءِ ادِّعَاءْ ... !

وبَعْضُ الدُّعَاءِ عَزَاءْ ...

وبَعْضُ العَزَاءِ رِيَاءْ ... !

فَفِـي سَـاعَةٍ نَبْكِـي ... ونَكْـتُمُ سَـاعَةً

كَأُرْجُوحَـــةٍ بَـــيْنَ التَّشَـــاؤُمِ والبُشْـــرى

يَضِـــيقُ عَلَيْنَـــا الحُـــزْنُ رَغْـــمَ يَقِينِنَـــا

كَزِنْزَانَـــةٍ سَـــوْدَاءَ نَحْـــنُ بِـــهَا أسْـــرى

دَوَافِعُنَـــا للحُـــــزْنِ نِيـــلٌ وأزْهَـــرٌ

كَـأنَّ دُمُـوعَ الحُـزْنِ قَـدْ غَمَـرَتْ مِصْـرَا

ويَمْتَـــدُّ حُـــزْنُ الأرْضِ للقُـــدْسِ مِثْـــلَمَا

يَسِيرُ غَمَـامُ الشِّـعْرِ كَـيْ يُنْـزِلَ القَطْـرَا

هُـوَ الحُـزْنُ مَكْتُـوبٌ عَلَـى مِصْـرَ دَائِمًـا

ونَحْـــنُ بِـــهِ أوْعَـــى ... ونَحْـــنُ بِـــهِ أدْرَى !

وبَعْضُ العَزَاءِ رِضًا بالقَضَاءْ ...

وبَعْضُ الرِّضَا بالقَضَاءِ

يُخَفِّفُ مِلْحَ الجِنَازَاتِ في مَوْكِبِ العُظَمَاءْ ...

وبَعْضُ الجِنَازَاتِ لَسْتَ تَرَى فيهِ غَيْرَ جُمُوعٍ مِنَ الشُّرَفَاءْ ...

وبَعْضُ الجِنَازَاتِ قَدْ يَتَنَجَّسُ إنْ سَارَ فيهِ رَسُولٌ مِنَ الرُّؤَسَاءْ ...

قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ ...

رِثَـاءْ ...

وفيهَا مِنَ الحُزْنِ أكْثَرُ مِمَّا أُطيقُ وأكْثَرُ مِمَّا أشَاءْ ...

قَصِيدَةُ هَذا المَسَاءْ ...

رِثَـاءْ ...

ولَيْسَتْ كَكُلِّ الرِّثَـاءْ ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة
5.00

2007/7/28م
صباحًا

في هِجَـاءِ الصَّـبْرْ ... !

الصَّبْرُ مَكْرُمَةٌ بأرْضِي مِثْلَ تَأبيرِ النَّخيلْ ... !

وإذا مَدَحْتُ الصَّبْرَ في بَلَدي بمَوَّالٍ

فإنِّي سَائِرٌ في دَرْبِ أجْدَادي

كَقَافلَةٍ تَسيرُ بلا مُخَاطَرَةٍ

على دَرْبٍ تَمَهَّدَ للوُصُولْ ...

وأرى مَديحَ الصَّبْرِ فَنًّا دَارجًا في مَوْطِني

كَالرَّقْصِ

و (التَّحْطيبِ)

أو سِيَرِ الرُّوَاةِ عَلَى الرَّبَابَةِ

قَدْ رَأيتُ الشِّعْرَ يَمْدَحُ صَبْرَنَا

يَعْلو كَمَا يَعْلو إذا مَدَحَ الرَّسُولْ ... !

الصَّبْرُ مُبْتَدأٌ

ومَرْفوعٌ دَوامًا

كَيْ نَرى الخَبَرَ الجَميلْ ... !

الصَّبْرُ مِسْبَحَةٌ بكَفِّ الطِّفْلِ يَجْلِسُ

مِنْ أمَامِ (النَّوْلِ) كَيْ يَقضي عَلَى سِجَّادَةٍ

حيكَتْ مِنَ العُقَدِ المُلَوَّنَةِ التي

قَدْ عَقَّدَتْ أيَّامَهُ

وقَضَتْ عَلَى حُلُمِ الطُّفُولَةِ في هَنَاءٍ مُسْتَحيلْ ...

الصَّبْرُ سَيْفٌ في ذِرَاعِ العَاجزينَ عن التَّذَمُّرِ

يَقْتُلُونَ ذواتَهُمْ بخُضُوعِهِمْ

لقَرَارِهِ القَاسي الجَهُولْ ...

الصَّبْرُ دِرْعٌ في أكُفِّ المُؤمِنينَ القَادرينَ عَلَى التَّأفُّفِ

يَمْنَعُ الرُّمْحَ المُسَدَّدَ مِنْ ذِرَاعِ القَصْرِ

نَحْوَ الفَجْرِ يَسْطَعُ في العُقُولْ ...

الصَّبْرَ جَرَّبْنَاهُ

يُنْتِجُ زَرْعَنا

لَوْلاهُ مَا امتَدَّ اخْضِرَارٌ في اصْفِرارْ ...

لَوْلاهُ لانْكَسَرَتْ رُؤُوسُ النَّاسِ تَخْبِطُ في الجِدَارْ ...

لَوْلاهُ مَا انْتَصَرَ النَّهَارْ ... !

الصَّبْرُ تَأجيلُ العَزَاءِ

ولَيْسَ تَرْكَ الثَّأرِ مِنْ أجْلِ القَتيلْ ... !

الصَّبْرَ جَرّبْنَاهُ

شَيَّدَ كُلَّ أهْرَامٍ بَنَيْنا في الحَقيقَةِ والخَيَالْ ...

الصَّبْرَ جَرَّبْنَاهُ يَحْفِرُ في القَنَالْ ...

وبِهِ خَلَقْنَا الطَّمْيَ في بَحْرِ الرِّمَالْ ...

الصَّبْرُ قِمَّةُ الاخْتِزَالْ ...

الصَّبْرُ حيلَتُنَا لنَخْدَعَ كُلَّ جَبَّارٍ

لتَحْويلِ الجُهُودِ إلى جِهَادٍ عَبْرَ تَأريخٍ طَويلْ ... !

فَإذا مَدَحْتُ الصَّبْرَ أُصْبِحُ مَادِحًا للنَّاسِ أفْرادًا

كَأنِّي قَدْ كَتَبْتُ قَصيدةً عَصْمَاءَ

تَمْدَحُ كُلَّ شَخْصٍ في بلادي باسْمِهِ

كَسَحَابَةٍ قَدْ أمْطَرَتْ فَوْقَ الحُقُولْ ...

الصَّبْرُ مَمْدُوحٌ

ولَكِنْ

كُلُّ ثَوْرَاتٍ قَطَعْنَاهَا بأرْضِي

دَائمًا بَدَأتْ بِجَرْأةِ شَاعِرٍ مِثلي

يُقَرِّرُ في مَسَاءٍ أنْ يَخُطَّ قَصيدةً

عُنْوَانُهَا كَالشَّمْسِ يَسْطَعُ :

« فـي هِجَاءِ الصَّبْرْ » ... !

تَمَّتْ في القَاهِرَة
3.30

2008/9/1م
صباحًا

لَسْتُ مُمْتَنًّا ...

أنَا لَسْتُ مُمْتَنًّا لَكُمْ

لَكِنْ لشِعْري قَدْ وَجَدْتُ بداخلي كُلَّ امْتِنَاني ...

أنَا لَسْتُ مُمْتَنًّا لَكُمْ

بتواضُعِي وتَكَبُّري سَأقُولُهَا

قَطْعًا لتَأويلِ الكِنَايَةِ والوشَايَةِ

والحَقيقَةِ والأمَاني ...

أنَا لَسْتُ مُمْتَنًّا سِوى لجُمُوحِ قَافيَةٍ

تُؤَجِّلُ فِسْقَهَا لدَقيقَةٍ حُبًّا بتَرْديدِ الأذَانِ ... !

خُلُقُ القَصِيدَةِ في سُلوكِ دَفَاتِري

خَجَلُ العَذَارَى

مَعْ خَيالاتِ الغَواني ...

ولَرُبَّ قَافيَةٍ تُوَرِّطُ شَاعِرًا حَيًّا

ببَحْثٍ عَنْ خُلُودِ الشِّعْرِ في جُثَثِ المَعَاني ... !

ولَرُبَّ قَافِيَةٍ تُخَلِّدُ شَاعِرًا مِثلي

تَوَحَّدَ بالقَصيدَةِ مِثْلَمَا قَوْسٍ وأوْتَارِ الكَمَانِ ...

أنَا لَسْتُ مُمْتَنًّا لَكُمْ

فالنَّقْدُ والتَّصْفيقُ والتَّهْليلُ والتَّقْديرُ

تُمْسَحُ تَحْتَ أحْذِيَةِ الدَّقَائِقِ والثَّواني ...

أنْتُمْ كَذلكَ غَيْرُ مُمْتَنِّينَ لي ... !

مَهْمَا تَشَرَّبَتِ القَصِيدَةُ مِنْ أمَانيكُمْ

ولَسْتُ بغَاضِبٍ إنْ قُلتُمو لي :

« أنْتَ مِعْطَاءٌ أنَاني » ... !

لا مَنَّ بَيْنَ الشِّعْرِ والقُرَّاءِ ...

فالشُّعَرَاءُ يَخْتَارُونَ ما يُلْقُونَ في نَدَواتِهِمْ

وكَذلكَ القُرَّاءُ

يَخْتَارونَ مَا يُلْقُونَ خَارجَ وَعْيِهِمْ مِمَّا نُعَاني ... !

الإسكندرية 2008/2/9م

10.00 مساءً